

مجلة الكلمة الطبية

العدد السادس

كلمة الكلمة

في رحاب شهر الله

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه.. البقرة ١٨٥.

لعلّ الحدث الرئيس والأكثر أهمية الذي تتحلّق محيطة به كل الأعمال التي يؤديها المسلم وكل الأحداث التي يحيي ذكرها ويستثمر عطاياها في هذا الشهر، هو نزول القرآن الكريم، أعظم هدية تختص بها أمة آخر نبي. ففي ليلة تعبق فيها روح الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) بأريج الورع والتقوى والتهجد والعبادة، يأتي النداء (اقرأ) فاتحة لعهد خير جديد، وهبة نادرة ادخرتها سماء الرحمة لهذه المرحلة من تاريخ الإنسان. بعد مسيرة طويلة قطع فيها الإنسان أشواطاً تاريخية لا يعلمها إلا الله، بحثاً عن أو طلباً للسعادة، يتكلل هذا الكدح المضني بإرسال الشريعة الخاتمة التي ينتهي عندها الحديث عمّا يمكن أن تكون عليه العلاقة بين الإنسان وخالقه، وما هو شكل الأيديولوجية التي ستصحب الإنسان حتى نهاية المطاف.

ولعل في مجيء التوقيت للصيام، والتشريع لامتنال أمر الله بحبس النفس عن الكثير من المأذ الحلال أياماً معدودات، هي ذات الشهر الذي نزل في أيامه القرآن المجيد، إلماحة إلى أن طريق استنزال الهبات السماوية والرحمات الإلهية ليس سوى إخلاص العبادة والانقطاع إلى الله. فالروح العالية والحالة الخاصة التي اكتنز بها وجود النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لحظة الوحي المقدس لم يكن وراءها سوى إخلاص العبادة والانقطاع عن كل ما هو محتاج في وجوده وحركته إلى الله، فمن أراد أن يسلك طريق محمد (صلى الله عليه وآله) في كسب رضا الخلاق المتعال واستدرار عطفه ومكرمه، ليس عليه سوى اللحاق والانضمام إلى قافلة المستغفرين بالأسحار، في ليالي هذا الشهر الفضيل وغيره من الشهور.

وصيام شهر رمضان وإن كان في ظاهره هو الامتناع عن تناول كل مفطر أو ممارسة كل ما هو ممنوع عنه المكلف في هذا الشهر، إلا أنه في بعده الحقيقي، وفلسفته التي تكمن وراء أصل تشريعه تربية للنفس البشرية، وصقل لمواهبها وقواها الباطنية، فالصوم منهج متكامل للسمو والارتقاء بروح الإنسان وملكاته. كما أن له بعده وأثره العملي ونتاجه الاجتماعي في حياة الإنسان، فهو تربية وتدريب على كل الفضائل والأخلاق الحميدة التي من شأنها النهوض بواقع الإنسان فرداً وجماعة، قال الإمام الصادق (عليه السلام) في وصف للصيام (إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، إنما للصيام شرط يحتاج أن يحفظ حتى يتم الصوم، وهو الصمت الداخل، أما تسمع قول مريم بنت عمران (إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً) يعني صمتاً، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضوا أبصاركم، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا، ولا تغتابوا، ولا تماروا، ولا تكذبوا، ولا تباشروا، ولا تخالفوا، ولا تغاضبوا، ولا تسابوا، ولا تشاتموا، ولا تنازروا، ولا تجادلوا، ولا تظلموا،

ولا تسافهوا، ولا تزاوجوا، ولا تغفلوا عن ذكر الله وعن الصلاة، وأنزمو الصمت والسكوت، والحلم، والصبر، والصدق، ومجانبة أهل الشر، واجتنبوا قول الزور والكذب، والخصومة، وظن السوء، والغيبة، والنميمة، وكونوا مشرفين على الآخرة، منتظرين لأيامكم... منتظرين لما وعد الله، متزودين للقاء الله..).

وكذلك يشير الإمام الشيرازي - دام ظله - إلى هذه الثمرة المجتناة من عبادة الصوم في قوله (وعلى الصيام يؤسس الاجتماع الصالح، والفرد الصالح).

فتكون هذه الشعيرة الإسلامية قاعدة قانونية ونظام يصلح أن يكون مقياساً لصلاح المجتمعات الإنسانية ودعائنا أن يعي المسلمون قيمة قوانينهم الإسلامية قبل غيرهم، وهذه الأيام المباركة، هي أثنى فرصة للعودة للإسلام... العودة إلى الفطرة الإنسانية ... العودة إلى عالم الإيمان والرفاه والتقدم..

أسرة التحرير

تقويم الشهر

المناسبة	السنة (هـ)	المناسبة
١	٦٥٢ - ٦٥٤ هـ	احتراق المسجد النبوي
وقد احرق من قبل اليهود فأنهار المسجد وتحطم المنبر وأبواب المسجد وسقط السقف.		
١		السنة العاشرة من البعثة النبوية الشريفة وفاة السيدة خديجة
انتقلت السيدة خديجة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى الرفيق الأعلى وقد ذكر أيضاً أن وفاتها في اليوم العاشر من هذا الشهر.		
٣	-----	نزول الإنجيل
وقد ذكر في رواية العاصي أن الإنجيل قد نزل على سيدنا عيسى (عليه السلام) وكذلك ورد أن الزهراء (عليه السلام) قد توفيت في مثل هذا اليوم (على رواية ضعيفة).		
٦	-----	نزول التوراة
أنزل في هذا اليوم التوراة على موسى (عليه السلام).		
٦	٢٠١ هـ	ولاية العهد للإمام الرضا (عليه السلام)
بايع الناس في هذا اليوم الإمام الرضا (عليه السلام) لولاية العهد في عهد خلافة المأمون العباسي مما أثار حفيظة العباسيين عليه فعمل إلى دس السم في طعام الإمام (عليه السلام).		
٧		السنة العاشرة بعد البعثة
وفاة أبي طالب (رض) عم الرسول الأكرم (ص)		
في هذا اليوم وعندما توفي عم الرسول (صلى الله عليه وآله) أبو طالب هبط جبرئيل (عليه السلام) على الرسول (صلى الله عليه وآله) وقال له: يا محمد اخرج منها - يعني مكة - فقد مات ناصرك.		
٩	(١٩٥ هـ) على رواية	ولادة الإمام محمد بن علي الجواد (عليه السلام)
زوجه المأمون ابنته وكان يروم محاصرة الإمام وتضييق الخناق عليه، توفي في خلافة المعتصم مسموماً.		
١٠	٦٠ هـ	رسائل أهل الكوفة إلى الإمام الحسين (عليه السلام)
بعث أهل الكوفة بالرسائل إلى الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا اليوم وهو في مكة. وقد بلغ عدد الرسائل التي بعثها أهل الكوفة حتى منتصف الشهر اثنا عشر ألف رسالة، فبعث الإمام (عليه السلام) مسلم بن عقيل إلى الكوفة لأخذ البيعة له.		
١١	-----	نزول الإنجيل
في هذا اليوم نزل الإنجيل على عيسى (عليه السلام). وفيه أيضاً عقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) عقد المؤاخاة بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، وعقد فيها الأخوة بينه وبين الإمام علي (عليه السلام).		
١٤	٦٧ هـ	مقتل المختار الثقفي
قتل المختار ابن أبي عبيدة الثقفي في الكوفة في الحرب التي نشبت بينه وبين مصعب بن الزبير.		

ولادة الإمام الحسن بن علي (الزكي) (ع) (٢- ٥٠ هـ)

١٥ ٢ هـ

ولد الإمام الحسن (عليه السلام) في المدينة وعاصر جده الرسول (صلى الله عليه وآله) مدة تزيد على سبع سنوات. بعد استشهاد أبيه (عليه السلام) تولى الإمامة ودامت خلافته ٦ أشهر، وأما إمامته فامتدت عشر سنوات. وقد أجبر على إبرام الصلح المشروط مع معاوية الذي دس إليه السم على يد زوجته (جعدة). وكان أشبه الناس برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خلقاً وسودداً وهدياً.

بعث مسلم بن عقيل

١٥ ٦٠ هـ

في هذا اليوم بعث الإمام الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل إلى الكوفة ومعه جواب رسائل الكوفيين.

وقعة البدر الكبرى

١٧ ٢ هـ

في هذا اليوم حدثت واقعة بدر الكبرى وهي أولى معارك الإسلام التي قال فيها الرسول (صلى الله عليه وآله): (اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد...) وقد تقابل جيش المشركين المقدّر بألف فارس مع ٣١٣ مسلماً. وقد كتب الله للمسلمين النصر حيث قتلوا ٧٠ مشركاً وأسروا منهم مثل هذا العدد واستشهد من المسلمين ١٤ شهيداً.

ليلة القدر

١٨ -----

يعتبر مساء هذا اليوم ليلة القدر (على رواية) ويستحب فيها الاتيان بأدعية وأعمال خاصة.

جرح الإمام علي (عليه السلام)

١٩ ٤٠ هـ

وهو اليوم الذي جرح فيه الإمام علي (عليه السلام) على يد الشقي عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله وقد ضربه على رأسه وهو يصلي الفجر في مسجد الكوفة (راجع ملف المناسبات).

بداية الليالي العشر الأواخر من شهر رمضان

٢٠ -----

وهي ليالي عظيمة ومهمة يستحب الاجتهاد أكثر في أحيائها حيث فيها ليلة القدر المباركة والتي قال الله تعالى فيها (خير من ألف شهر).

شهادة أمير المؤمنين (عليه السلام)

٢١ ٤٠ هـ

استشهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) (راجع ملف المناسبات).

ليلة القدر

٢٣ -----

وهي من الليالي المباركة التي يستحب إحيائها بالأدعية والصلوات.

ليلة القدر

٢٧ -----

وهي من الليالي المباركة التي يستحب فيها الدعاء، وورد أنها ليلة وفاة أمير المؤمنين (عليه السلام) وفاته يوشع بن نون وصي موسى (عليه السلام). وعروج عيسى (عليه السلام) إلى السماء حتى أن البعض عدها من ليالي القدر.

وفاة المجلسي

٢٧ ١١١١ هـ

توفي في مثل هذا اليوم فخر الشيعة ومحبي الشريعة العالم الرباني محمد باقر بن محمد تقي الأصفهاني الشهير بالمجلسي المطلق أو بالمجلسي الثاني صاحب الموسوعة الشهيرة (بحار الأنوار).

مفاهيم إسلامية

دور العقل ومكانته في الإسلام

محمد رياض

لقد خلق الله الإنسان وزوّده بالعقل لتمييز الخير من الشرّ والحقّ من الباطل، وللوقوف على المنهج الواضح المؤدي إلى الصواب. وبفضل هذه الأداة الربّانية، حاول الإنسان أن يعرف هذا الكون الواسع في أفاقه ومجالاته، الغزير بمادته وموجوداته، كما حاول أن يعرف مركزه من هذا الكون وغاية وجوده فيه، ومآل نهايته منه. إلا أن هذا العقل ضلّ كثيراً حين حاول الوصول إلى إدراك ما ليس في حدود طاقته، ونتيجة لذلك كان ما نعرفه في الفلسفات اللاهوتية للأمم التي حرمت نور الوحي وشرائع السماء.

ولكن الله العادل الحكيم يعلم أن الإنسان لا بد أن يتخبط في مساره إن أوكله إلى نفسه وعقله، وأن من العدل - ليكون الإنسان مسؤولاً عما يفعل وليحقق الغرض من وجوده - أن يُبين له الرشد من الغي ويدلّه إلى الحق والباطل. ولذلك اصطفى الله من البشر رسلاً وأنبياء ليأخذوا بيد الإنسان من طريق الغواية إلى طريق الهداية، ومن الظلمات إلى النور.

وقد كان آخر هؤلاء الرسل المصطفين سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي جاء بالإسلام ليختم الله به رسالات السماء، بعد أن خفّت صوتُ الرسل السابقين، وضاعت معالم الدين القويم. جاء الإسلام ليكون حرباً على المجادلة الجوفاء في العقيدة، مستأصلاً لمفاسد الجاهلية، داعياً إلى الحق، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مبيّناً أن الإنسان مسؤول عما يقول ويفعل، وأن هناك حياةً أخرى، ويوماً للحساب، واضعاً العقائد والتقاليد ومقاييس الخير والشر وضعاً جديداً تخضع فيه لحكم الفطرة الإنسانية السليمة، والعقل والإدراك الإنساني المنزه عن الهوى وحب الشهوات.

ولم يكن قصد الإسلام من ذلك إخراج الناس عن عقائدهم بالقوة والعنف، ولا إزالة تقاليدهم وتصحيح مفاهيم الخير والشر عندهم بالجبر والقهر، ولكنه قصد دعوتهم إلى أن يتأمّلوا ويفكّروا ويتدبروا، وأن يسألوا أنفسهم: هل فيما آمنوا به عقيدة لهم يصلح أن يكون عقيدة حقاً وهل فيما نشأوا عليه من أعراف وتقاليد جدير بأن يؤخذ به ويحافظ عليه وهل في عبادتهم للحجر وتأليههم للبشر ما يوافق العقل السليم والفكر السديد؟

لقد حتّ الإسلام على طرح هذه الأسئلة والإجابة عنها من خلال أعمال الفكر وشحنّ الذهن، ومن خلال الحجّة والمنطق، ومن خلال التأمل والتدبر والإدراك الحسي والفكري. بل إن الإسلام عندما رفض الأصنام التي اتخذوها أرباباً من دون الله ووقف بوجه الذين عطلوا عقولهم، وعبدوا النار، وألّوها حكّامهم ورؤساءهم الذين جعلوهم أسرى أهوائهم وشهواتهم.. إنما أراد أن يعيد هي خطوة ليعيد الإسلام للعقل اعتباره، وليحيي في الإنسان إنسانيته وليوفّر له كرامته.

ولما كانت مستويات تفكير الناس في شؤون الكون وما فيه من آيات مرئية وغير مرئية تتفاوت فيما بينهم،

فقد جاء الإسلام مراعيًا هذا التفاوت مخاطبًا الناس بطرق تتناسب مع درجات تفكيرهم واختلاف نظرتهن إلى الأشياء المحيطة بهن، مبتدئًا بالمرئيات العامة التي تدرك بالصورة العفوية، هادفًا - بذلك التوجيه المباشر البسيط - أن ينظروا إلى ماهو حولهم وفوقهم وعلى مرأى ومسمع منهم، وأن يقرنوا هذا النظر بالتأمل الذي يقود إلى الإيمان بخالق لا شريك له، أحسن كل شيء خلقه وصنعه.

قال تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت؟ وإلى السماء كيف رفعت؟ وإلى الجبال كيف نصبت؟ وإلى الأرض كيف سطحت؟ فذكر إنما أنت مذكر) (١).

وفي آية أخرى، يقول عز وجل: (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج؟ والأرض مددناها، وألقينا فيها رواسي، وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج؟ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب) (٢). إنها مرئيات واضحة لا يحتاج النظر إليها والتأمل فيها إلى عناء. ثم يتدرج الأمر إلى ما هو أبعد غورًا من هذا، حيث يوجه الفكر وراء الكيفية التي تظهر عليها الموجودات، وما تنطوي عليه من دقة الصنع وإتقان الإبداع، وفي هذا آيات لقوم يعقلون.

قال تعالى في كتابه العزيز: (إن في خلق السموات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (٣).

ويرقى الأمر مرة أخرى إلى الأعلى، ويأتي الخطاب هذه المرة موجهًا إلى العقل للبحث في أصل الحياة، وما يتبع ذلك من تساؤلات عن المصير والمآل وعن الموت وما بعد الموت؟

وهل يمكن للإنسان أن يحيا بعد موته وفنائه؟ .. وهنا أيضًا خاطب الإسلام عقل الإنسان طالبًا منه أن يوازن ويقارن، وأن يعلم أن الله الذي أنشأه أول مرة قادر على أن يحيي ما خلق وأنشأ قال عز وجل: (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه، قال من يحيي العظام وهي رميم؟ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم، الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه تُوقدون، أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم؟ بلى وهو الخالق العليم) (٤).

إنها دعوة للتفكير المنطقي والمنهج العلمي ... دعوة لوقف الجحود، بالحجة والدليل الذي لا تفنده المزاعم والأباطيل.

وبتوالي تطور دور العقل البشري واستمرار توسع ادراكاته، جاء دور البحث عن الأسباب والمسببات حيث ينتقل الإنسان بها من رتبة النظر بعين البصر إلى رتبة النظر بعين الذهن المدعم بالحس، المؤدي إلى الاستنتاج المنطقي، كما في قوله تعالى: (هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون) (٥).

١ - سورة الغاشية : الآيات من ١٧ إلى ٢١ .

٢ - سورة ق: الآيتان ٦ - ٧ .

٣ - البقرة: الآية ١٦٣ .

٤ - يس: الآية ٣٦ .

٥ - النحل: الآية ١٠٩ .

ولم يقل الإسلام للمسلم: آمن بالله وكفى، بل نزلت الآيات الكريمة تحتّ على النظر والتأمل وشحذَ الذهن وإعمال العقل، ليصل المسلم من خلال هذا المنهج إلى اكتساب الإيمان.

قال عزّ وجلّ: (وفي الأرض آيات للموقنين، وفي أنفسكم أفلا تبصرون)(٦).

وفي آية أخرى يقول سبحانه وتعالى: (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق)(٧). وبذلك كانت دعوة الإسلام إلى الربط بين الإيمان والتأمل في صنع الله، دعوة - في الوقت نفسه - إلى استخدام العقل في أداء وظيفته، واستنكار تعطيل دوره وتجميد حركته.

وأكثر من هذا، فقد اعتبر القرآن الكريم مَنْ يُعْطِل عقله وحواسه ميتاً أو أعمى بل أضل من الأتعام. قال العزيز الحكيم: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم أذان لا يسمعون بها، أولئك كالأتعام بل هم أضلّ، أولئك هم الغافلون)(٨).

أما الذين يُعْطِلون عقولهم وينظرون للأمور بعقول غيرهم، فقد حكم عليهم القرآن الكريم بأنهم صُمُّ بكمٍّ عميٍّ فهم لا يعقلون.

بل لو تتبعنا في القرآن، الكريم الآيات التي تُشيد بالعقل والفكر والعلم والتدبر - وما يدخل في نطاقها - لوجدنا المنات من الآيات والشواهد. فمثلاً وردت مادة (العقل) في القرآن الكريم في آية (٤٩) ووردت مادة (الفكر) في (١٨) آية ومادة (العلم) في نحو (٦٠٠) آية وكلمة الأبصار - بمعنى العقل والعلم - في (٢٣) آية، وكلمة النظر - بمعنى الاعتبار - في (٢٤) آية.

ووردت كلمة الرأي - بمعنى الفكر والعقل - في نحو (٨٠) آية، والقلب والفؤاد - بمعنى العقل - في (٤٦) آية، والتدبر والرشد في (٤٩) آية.

وهكذا يزخر كتاب الله الكريم بمنات الآيات التي تجعل العقل والفكر من القيم الدينية التي تقوم عليها العقيدة السليمة لكي تعطي ثمارها، حتى العبادات جعلها الإسلام مرتبطة بالعقل الواعي والفكر السديد. يقول الرسول الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم): (لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله، فبقدر عقله تكون عبادته)(٩).

حقاً فإن العبادة التي تؤدي دون تدبر لحكمتها وفهم لغايتها لا تُحدث أثراً في النفوس وقد لا ترقى إلى مقام القبول عند الله. فالصلاة - مثلاً - ليس للإنسان منها إلا ما عقل في خشوعه وهو واقف بين يدي ربه، وما تدبر فيها من آيات الله التي يتلوها، وفيما تتركه هذه الصلاة من أثر في حياة الإنسان وسلوكه. فإذا خلت من ذلك كله تجردت عن معناها وحكمتها وأثرها المطلوب.

روي أن النبي الكريم (صلى الله عليه وآله) رأى مرة رجلاً يصلي بلا خشوع وتدبر، فقال له: (إذهب فصل، فإنك لم تُصل)(١٠).

٦ - الذاريات: الآية ٢٠ - ٢١.

٧ - فصلت: الآية ٥٣.

٨ - الأعراف: ١٧٩.

٩ - النسائي.

١٠ - البخاري.

إن مراتب الإيمان ترتبط بمراتب العقل، فعلى قدر عقل الإنسان يكون إيمانه ، وعلى قدر إيمانه تكون عبادته، وما أسير الأمر على الناس إذا تدبروا في خلق السماوات والأرض وما فيها من آيات، أن يهتدوا إلى أن ربهم واحد لا شريك له، قادر لا يعجزه شيء، حكيم لا يضل ولا ينسى، خلق كل شيء فأحسن خلقه.

إن الذين يفكرون ويتدبرون هم الذين يستحقون وصف ربهم لهم بأنهم (أولوا الألباب) لأنهم يفتحون أبصارهم وبصائرهم للنظر والتدبر والاعتبار، فيعرفون ربهم ويذكرونه ذكراً دائماً، ويفكرون فيما أبدع الله في الأرض والسما، وفيما دبر من عجائب تجلّ عن كل نقص، ويطيعونه ويعبدونه، ويرجون ثوابه ويخافون عقابه.

(إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض، ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه فقتنا عذاب النار)(١١).
إن من آثار نظرة الإسلام للعقل، أن انطلق المسلمون بينون ويعمرون وينتجون في كل مجالات العمل الفكري والمادي والعلمي، فسادوا الدنيا وعمروها وقدموا للإنسانية أسمى وأرقى حضارة تستمد حيويتها من العقل والدين، وكانوا في كل ما أنتجوا من علم وفكر محاطين بعناية الإسلام وتشجيعه، حتى اعترف الفيلسوف المعروف غوستاف لوبون بانسجام حرية العقل والفكر مع الدين عند المسلمين لذلك يقول: (إن المسلمين هم أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين)(١٢).

العقل في الفقه والعقيدة

أشار سماحة الإمام الشيرازي أنه (دام ظله) إلى (أنه قد ورد من النصوص في العقل ما لا يتيح المقام لإحصائها.. وجعل في بعضها أنه من جنود العلم، والعقل يختلف عن العلم، فقد العلم في عداد العقل غير تام، فهو مثل عد المسبب في عداد السبب..)(١٣) وقد حث القرآن والسنة على التعقل، والإنكار على تركه وندم من لا يتعقل قال سبحانه: (أفلم تكونوا تعقلون)(١٤) وقال تعالى: (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون)(١٥). وقال عز وجل: (فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب)(١٦). والألباب بمعنى العقول، إذ العقل لب الإنسان كما أن لب الفواكه - وما أشبه - أفضلها.
وقال سبحانه (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولئك كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)(١٧). وقال تعالى (إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون)(١٨).

١١ - آل عمران: الآيتان ١٩٠ - ١٩١.

١٢ - غوستاف لوبون.

١٣ - كتاب الفقه/ العقائد للإمام الشيرازي (دام ظله).

١٤ - يس/ ٦٢ .

١٥ - يونس/ ١٠٠.

١٦ - الزمر / ١٧ - ١٨ .

١٧ - البقرة/ ١٧٠ .

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: (استرشدوا العقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا) (١٩).
وقال (ص): (إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له) (٢٠).
وعن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: (حجة الله على العباد النبي، والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل) (٢١).
وذلك لأن العقل هو الذي يرشد إلى نبوة الأنبياء، فإذا أرشد العقل إلى نبوة نبي، يكون النبي حجة بين الإنسان وبين الله.
وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (العقول أنمة الأفكار) (٢٢).
وعنه (عليه السلام) (العقل شرع من الداخل والشرع عقل من الخارج) (٢٣).
إلى غير ذلك من الآيات والروايات التي تدلّ على حجّية العقل، وأن الله (سبحانه وتعالى) به يثيب وبه يعاقب.

١٨ - سورة الأنفال / ٢٢ .

١٩ - بحار الأنوار، ج ١، ص ٩٦ .

٢٠ - بحار الأنوار، ج ١، ص ١٦٠ .

٢١ - الكافي ج ١، ص ٢٥ .

٢٢ - بحار الأنوار، ج ١، ص ٢٥ .

٢٣ - نفس المصدر.

شاعر وقصيدة

الهبل.. رائد الشعر في القرن الحادي عشر

عقيل الرماحي

لمعرفة أحوال شاعرنا وشاعريته، لابد من الرجول إلى أرض بلقيس وسبأ، أرض سيل العرم، وعلى بساط الأدب، مع هدهد الشعر، نسابق عفريت من الجن.. وقبل ارتداد الطرف، نبحت عن النبأ اليقين عما جرى بين عام (١٠٤٨ - ١٠٧٩ هـ) هي كل حياة شاعرنا. وقبل أن نقوم من مقامنا ويغفو الطرف فينا، ندخل روضة من رياض الشعر العربي... إلى قرية الهبل.

والداخل إلى رياض الشعر العربي، يجد نفسه منهكاً - وفي سباق مع الزمن - في اقتطاف ما لا يحصى عدداً من أزهار الشعر.. قصيدة من هذا الشاعر، ومقطوعة من آخر، وبيت في الجمال يتيم من شاعر آخر. وعندما يجد نفسه غير قادر على حمل ما يجد في طريقه من دواوين الشعر، فإنه لا يستغني عن معرفة أشعار ومعرفة أخبار بضعة وثلاثين شاعراً، وإن كان قد حفظ أو اقتنى من دواوين العرب عبر العصور جمل الجمال في شعب أبي طالب منذ قال طرفة بن العبد:

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فدعني أبادرُها بما ملكتُ يدي

وهل لو أردنا أن نضرب مثلاً - يعني أي ديوان شعر - عن قصائد (الملك الضليل) الذي سما إلى صاحبه (بعد أن نام أهلها سمو حباب الماء حالاً على حال) ثم ناجى جارتته ونفسه تساقط أنفساً، وتتمزق شعباً، تلك المناجاة الحزينة التي يندك لها جبل عسيب؟

ثم ماذا عن الأخطل وقد أهدر معاوية دمه لما رأى اللوم يضرب في النفوس؟ وفيه يقول جرير:

أدركته وله ناب واحد ولو أدركته له نابين لأكلني.

وماذا عن دعلج بن علي الخزاعي، الشاعر الذي اختلف فيه الناس من المهد إلى اللحد، وقد ظلَّ يحمل خشبته على كاهله يفتش عمن يصلبه عليها؟

وابن الرومي وقد قالوا: إنهم لم يجدوا في حقيبة أبي الطيب حين خرَّ صريعاً إلا ديوان ابن الرومي.. وأبو تمام، إمام طبخته، وتلميذه البحتري، وما حمد النقاد قولاً لشاعر كما حمدوا إنصاف أبي الطيب فيه حيث قال:

(أنا وأبو تمام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري).

والسيد الحميري وعراقته في الشعر وقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له في النوم: أما إنك ستقول شعراً مثل شعر امرئ القيس، إلا أنك تقول في قوم أظهار بررة. وقول بشار فيه: لو لا أن هذا الرجل قد شغل عَنَّا بمدح بني هاشم لشغلنا، ولو شاركنا مذهبنا لأتعبنا.

وأي ديوان شعر يُعني عن المتنبي وهو الشمس التي يدور حولها كل شعراء العربية، ناهيك عن الشريف ومجازياته (وتلفت قلبه) استمع إليه وهو ينشد:

وقفنا لهم من وراء الخطوب نطالعهم من حضاضاتها

وذلك الذي ضمّ فضل القناعة أو بات مشتملاً بها متزماً يتمم بقوله :

دعوه ونجداً إنها شأن قلبه فلو أنّ نجداً تلعة ما نعداها

وهبكم منعتم أن يراها بعينه فما تمنعون القلب أن يتمناها

إنه مهيار الديلمي تلميذ الشريف.

والقاسم بن هُتَيْمِل شاعر القرن السابع دون منازع، والذي صان لغة الشعر من الانزلاق في وادي الصناعات اللفظية ثلاثة قرون.

وما إن أطلّ القرن العاشر، وألقيت على اليمن رداء العجمة العثمانية وتورّط شعراؤها بالإسراف في المحسنات البديعية والأحاجي والتواري والألغاز - شأنهم في ذلك شأن شعراء الشام ومصر والعراق - حتى جاء دور شاعرنا الهبل..

فانبرى يعيد للشعر - في منتصف القرن الحادي عشر - رصانته وجلاله وفخامته وقوته ليجدد ذكرى أبي الطيب والبحتري والشريف والحميري، كما فعل البارودي في مصر بعده بقرنين.

نعم! الهبل.. فهو لو طال به العمر كالنابغة - ١٨٠ عاماً - وابن هُتَيْمِل - ٩٥ عاماً - لكان ثاني اثنين لا ثالث لهما.

وإذا كان الموت قد عاجل (أبا تمام) وهو لما يتخطى السادسة والثلاثين، ولحق (الشريف) بالرفيق الأعلى وهو في السابعة والأربعين، فإنّ شاعرنا الهبل قد اخترق سهم المنية قلبه ولما يكمل عامه الأول بعد الثلاثين. ولن أكون مغالياً في قلبي لو قلت : إنّ الشاعرية العربية لم تطلق من كنانتها سهماً في سماء الشعر بعد الحكيمين (حبيب والمتنبي) وامرئ القيس والسيد الحميري وذلك الذي قالوا إنه أشعر شعراء قریش في الجاهلية والإسلام (الشريف الرضي).. مثل شاعر اليمن (الهبل).

النشأة والشعر

فبين حارات الفليحي والعلمي والجوافة وصرخة مطير، في صنعاء اليمن، كانت صرخة الهبل وخطواته الأولى في الحياة، زيدي البيئة، متقشفة، ومن أسرة عرفت الشجاعة والفروسية، شاركت في الحرب ضد الأتراك وتحملت بعضاً من أوزارها حتى نالت الاستقلال على يد الإمام القاسم.

إن أبناء حارة الفليحي ومن يتردد على مسجدها للصلاة أو الدراسة من الحارات الأخرى المجاورة، لا بد وأن يقرأ - ولو من باب الفضول - ذلك الحزام الأزرق المطرز الجميل الذي يحيط بالقبة البيضاء للمسجد (هو كالعصابة على جبين صبي ناهد) بيتان هما أول محفوظات أولئك المترددين على ذلك المسجد:

لي خمسة أطفئ بهم نار الجحيم الحاطمة

المصطفى والمرضى وابنهما و (الفاطمة)

كما لا يفوت من يحب الشعر منهم، وقد جُبِلت نفوس الكثيرين منهم أن يترنم ببيتين آخرين على محراب الجامع، لطالما تمرن عليهما الكثير منهم ممن أراد أن يتعلم الكتابة والقراءة الصحيحة وتحسين الخط:

يا بن عم النبي إن أناساً قد تولوك بالخلافة فازوا

أنت للعلم في الحقيقة باب يا إماماً وما سواك مجاز

لقد نشأ الهبل في بيئة فروسية وزهد، وفي ظلال أسرة وجماعة يلتفون مع قبيلتهم حول الإمام القاسم بن محمد المنصور، وكان لأبيه وعمه وغيرهم من أفراد أسرته الحظ الوافر من الجهاد والنضال ضد الأتراك والسلاطين والإقطاعيين الذين كانوا يوالونهم في بعض الأصقاع اليمنية، والعمل بالسنان قبل اللسان لولادة الدولة القاسمية.

إلا أن وفاة مؤسس الدولة القاسمية قد مكّن أولاده الحسن والحسين والمؤيد والمتوكل وحفيده أحمد بن الحسن - ممدوح الهبل - من رفع راية اليمن الكبرى. وقد شارك الشاعر الهبل أميره أحمد بن الحسن (سيل الليل) في بعض الحروب التي خاضها ورافقه في قمع التمردات القبلية، وحضر بعض المعارك ووصفها وصفاً بديعاً كما فعل من قبل شاعر العربية الأول أبو الطيب المتنبي مع أميره سيف الدولة. وقد كتب الهبل على سيفه البتار هذين البيتين:

أنا السيف لا تُختشى بنوتي إذا خُشيت بنوة القاضب
إلى (ذي الفقار) اعتزاني كما إلى (حيدر) يعتزى صاحبي

وكأنه لتفانيه في حب يعسوب الدين وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) سيد العرب والفرسان لم يكتف بذلك بل جعل سيفه شيعياً لسيف علي (عليه السلام) ذي الفقار فأنطقه بهذين البيتين الرائعين.

الهبل على لسان معاصريه

كما الخال على صفحة الخد، وقطرات الندى في الصباح على وجنات الورد، وكما البدر في ليل ربيعي يغفو على صدر الغدير الهادئ، تُثير في النفس مشاعر البهجة للجمال، كذلك كان شعر الهبل يثير في النفوس مشاعراً تباينت بين أعدائه ومحبيه.

فقد ذكر المؤرخ أحمد بن صالح بن أبي الرجال - وهو من معاصريه - أثناء ترجمته للقاضي علي بن سعيد الهبل فقال: ورثاه الفقيه الفاضل بديع الزمان الحسن بن علي بن جابر الهبل رحمه الله يرثيه بترثية فاضلة:

أتدري من تخرمت المنون ومن أرقّت لمصرعه العيون؟ (٢٤)

وبعد أن أورد المراثة قال:

وناظم هذه القصيدة هو الناظم لكل فريدة، بديع الزمان، وقريع الأوان، من لا عيب فيه إلا قرب بلاده وقرب ميلاده! فالمندل الرطب في أوطانه خشب، إلا عند قوم ميزوا ما خلص مما انتسب وفرّقوا بين النفيس والمحشوب، غير معولين على البلاد ولا ناظرين إلى الميلاد، أما الصغر فله أبو الطيب المتنبي حيث يقول:

ليس الحداثة من حلم بممانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشبيب

ثم قال: (نشأ رحمه الله) على العبادة والزهادة وعلى مودة آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يلويه عن ذلك لاو. واشتغل بالعلوم والآداب حتى برّع عن المشيخة الفرّح فضلاً عن الأتراب. وله ديوان شعر فائق وسحر حلال رائق عن كل معنى مليح. نهج مناهج الأدياء وجاراهم في رقيقهم وجزلهم وجزهم وهزلهم، وهو مع ذلك السابق المجتئ. ولقد رأيت له مقاطيع وقصائد باهرة ونقسه أشبه بشعر الأديب الحسين بن حجاج، غير

أنه مصون عن الأقداع، وإنما الفصاحة والنصاعة وجودة الصناعة، ولقد كان يقال إن ابن حجاج نفسه نفس امرئ القيس بن حجر).

إن شهادة ابن أبي الرجال للهبل بالبراعة والتفوق - وابن أبي الرجال ممن توسل بهم إلى حكام عصره بينه وبين الهبل مراسلات شعراً ونثراً - يفسر لنا كثرة محفوظات الهبل وسعة اطلاعه وتبحره في اللغة العربية. ثم إنه قد قرنه بـ(ابن الحجاج) الذي قال فيه ابن خلكان في وفيات الأعيان: (إنه في الشعر في درجة امرئ القيس، وإنه لم يكن بينهما مثلهما لأن كل واحد منهما مخترع طريقه). وقال: (إن الشريف الرضي اختار من شعر ابن الحجاج ما جانب السخف والمجون، فكان شعراً متخيراً حسناً جيداً).

وحسبنا أن الشريف قد اعتنى بشعره ورثاه بقصيدة مطلعها:

بكيك للشرد السائرات تعنق ألفاظها بالمعان

أما الشوكاني فيقول في البدر الطالع: (الحسن بن علي بن جابر الهبل اليماني الشاعر المفلق الفائق المكثر المجيد ولد سنة ١٠٤٨ هـ وله شعر يكاد يسيل رقة ولطافة، وجودة سبك، وحسن معاني غالبية الجودة وله ديوان شعر موجود بأيدي الناس)(٢٥).

وبعد أن اختار قطعاً منه، قال: وله القصيدة الطنانة التي مطلعها:

لو كان يعلم أنها الأحداق يوم النقا ما خاطر المشتاق

إلا أن الشوكاني يلوي لسانه قليلاً ليلعق من الكأس الأخرى لعقة يخلط بها مداد قلمه فيقول: (وكلها غرر - أي القصيدة - لو لا ما كدرها من ثلب الأعراض المصونة، أعراض خير القرون). ثم يضيف الشوكاني: (ولو طال عمر هذا الشاب الظريف، ولو لم يثب صافي شعره بذلك المشرب السخيف لكان أشعر شعراء اليمن بعد الألف على الإطلاق). وختم الشوكاني كلامه قائلاً: (وقد بالغ صاحب نسمة السحر في حقه أنه لم يوجد باليمن أشعر منه من أول الإسلام).

مظلومية الهبل

لقد ظلم الشاعر الهبل حياً وميتاً فإنه - وهو العالم الذي قال ابن أبي الرجال أنه اشتغل بالعلوم والآداب حتى برع على المشيخة القرّح فضلاً عن الأتراب - قد اعتنق مذهب الثورة والخروج على الظلمة والمنحرفين وألزم نفسه محاربة الفساد بلسانه وسنانه، كما جهر بنقد المنحرفين والفاستدين فكراً أو عقيدة أو سلوكاً نقداً لاذعاً مريراً.

وعندما رأى أن البعض يحاول جرجرة القانمين بالأمر إلى ما يخشاه على جوهر الحكم والذي رأى فيه تطبيقاً لأحكام ومبادئ النظرية الزيدية - من عدل وتوحيد وتشريع متكامل للحكم بما أنزل الله - لم يجامل بل نصح وحذر ثم حرض من يحسبه قادراً على الإصلاح والتغيير، شأنه في ذلك شأن المصلحين وأصحاب المبادئ

في كل زمان ومكان.

كل ذلك قد جرّ عليه الويل وحاربه من لا يقول برأيه من الفقهاء وذوي السلطة حتى لو كانوا من أبناء وأتباع فرقته وطائفته.

لقد التقى المتنافرون رأياً ومذهباً ومزاجاً - عن وعي وعن غير وعي وبقصدٍ في ذلك وبدون قصد - على غمط الهبل وتغيب ذكره بل حتى الاستشهاد بشيء من شعره، جمعهم على ذلك القاسم المشترك فيما بينهم. وقد بين أولئك المتنافرون هوىً وشعراً والمتباينون ثقافةً وتفكيراً - على مدى الأيام - عظيم الظلم الذي لحق شاعر اليمـن (الهبل).

الشعر لدى الهبل

لشعر معدن علم العرب، وسفرُ حكمتها، وديوان أخبارها، ومستودع أيامها، والصور المضروب على مآثرها، والخندق المحجوز على مفاخرها، والشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام. ومن لم يقم عندهم على شرفه وما يدّعيه لسلفه من المناقب الكريمة والفعال الحميدة بيت منه، شدّت مساعيه وإن كانت مشهورة، ودُرست على مرور الأيام وإن كانت جساماً.

ومن قيدها بقوافي الشعر وأوثقها بأوزانه، وأشهدا بالبيت النادر والمثل السائر والمعنى اللطيف، أخلدها في الدهر وأخلصها من الجحد، ورفع عنها كيد العدو وغض عنها عين الحسود.. هكذا يرى ابن قتيبة الشعر عند العرب.

أما الشاعر الهبل الذي كان كثير الاعتزاز بشعره، ويتباهى به في قصائده التي يمدح بها الأمراء والرؤساء، كما كان يفعل المتنبي والفحول من الشعراء في كل زمان ومكان، وكان يغار على الشعراء وينافح عنهم ويتنظّم لهم.. فإنه في رسالته إلى السيد محمد الجرموزي قبل أن يموت بأسابيع يُعرب له فيها عن رأيه في الشعر وتقديره له، وعن الظروف التعسة التي كان يعاينها الشعراء في ذلك العصر:

نعاهد من تُحبُّ فلا نجاب ونمتدح الملوك فلا نُثاب
فبعداً للقريض إذا عدونا عليه لا نجاز ولا نجاب

وبعد مقدمة قصيرة يقول : إن الشعر ينقسم في أصل الاختراع إلى أنواع:

(غزل) يُستمال به قلب المحبوب، ويُنال به وصلة المطلوب، (وحماسة) تنبي عن حدٍّ ورياسة (وحكمة) تميل النفوس الشريفة إلى الأخذ بها والتمسك بسببها (وهجاء) أعز الله مقامك، يرى صاحبه قد أدرك به مهجوه ثاراً، وأخذ من غيظه ناراً، وشفى نفسه منه انتقاماً وانتصاراً.

ثم يقول في مقطع آخر من رسالته: (والشعر طراز تزدان به المكارم وتمتاز به الأردال عن الأكارم، وهو لمحاسن المرء غرر، ولسلك فضائله درر، وما المكارم لولا قلانده إلا جيد عاطل، ولا المعروف لولا فرانده إلا رسم ما حل، وغير خافٍ على مولاي عظيم فضله ورفعة شأن أهله، وأحسن أبو تمام في قوله:

ولم أرَ كالمعروف تُرعى حقوقه مغارم في الأقوام وهي مغام
ولا كالعلى ما لم يسر الشعر بينها فكالأرض غفلا ليس فيها معالم
وما هو إلا القول يسري فتغتدي له غرر فـي أوجه ومواسم

يُرى حكمة فيه وهو فكاهاة ويقضي بما يقضي وهو ظالم
نعم هو كذلك وأنت الخبير بتلك المسالك، فماله في هذا الزمان عفا رسمه وهوى نجمه ونسج حكمه، فلا
يُدار له كأس، ولا يُرفع لقائله رأس؟

كلمات الهبل في ضياع الأدب

ويُري الشاعر (الهبل) حال الأدب وضياعه في زمان قلّ فيه الناصر للكلمة الجميلة، وصمّت الأذان بفتانل
الدنانير، وتاهت كلماته في سوق النخاسة والشغب، ويتحرق ألماً لما آلت إليه أحوال الأدباء، من انكفاء في
الزوايا المنسية، وجحود الناس لهم، فيقول صارخاً:
يا للأدباء... يا لضيعة الأدب.. أتصبح بيوته أطلالاً بالية؟! وتضحى معاهده رسوماً خالية؟! لا تصغي الأذان
لصارخه، ولا تنتصف لمنسوخه من ناسخه..

هذا وأنت - أعلى الله شأنك وحرسك من غير الليالي وصانك - منتهى أعيانه، وواسطة قلاند عقيانته، وفارس
ميدانه، وبارئ سهمه ورائشه، ومنهته قدره وناعشه، والأعراف بما لأهله من الحقوق، والجدير باجتناط طرق
العقوق، وعندك منصله الذي يفري المناصل و:

لك القلم الأعلى الذي بسنانه يُصاب من الأمر الكلى والمفاصل
ويختتم رسالته معاتباً: كيف رضيت بأن يباع السعر بأبخس الشعر؟! ولم تلحظه بعين مقه، ولم تحط ببر
وشفقة، فغدا وراح وقدره موضوع وأصبح ضائعاً - من ضاع يضيع لا من ضاع يضيع - وأضحى ينادي من قلب
مكلوم، يا للمسلمين مظلوم مظلوم؟!!

أتراه بغيرك سينتصر أم يشكو إلى سامع سواك مبصر؟ وما هو الآن حيث ملقى تعيش أنت وتبقى!
وإن لم تعد له عائدة من تلك العواند، ولم تستفد منه فائدة من تلك الفواند، فبعداً له وقبحاً، وجدعاً له وترحاً،
وسحقاً له من وسيلة ومن حيلة، فاندتها قليلة، تنبه لها اكرومة قبل قوتها واصخ لشكوى القوافي، فقد استعدت
برفيع صوتها، ولقد كان الشعر طليق المحيا، عطر الريا، فالיום حين تجهم وجهه الوضي وتكدر وردّه الصفي
ما جاد أبو تمام وهو المُجيد:

فمال وجه الشعر أغبر قاتماً	ووجه العلى من عظمة الشعر واجم؟
إذ أنت لم تحفظه لم يك بدعة	ولا عجباً إن ضيعة الأعاجم
تداركه إن المكرمات أصابع	وإن حلى الأنشعار فيها خواتم
فقد هز عطفيه القريض توقعاً	لعدلك مذ صارت إليك المظالم
ولولا خلال سنّها الشعر ما درى	بغاة العلى من أين تؤتى المكارم

الهبل وحب آل البيت عليهم السلام

الهبل وكما قال شيخه أحمد بن صالح بن أبي الرجال: (نشأ على مودة آل محمد - صلى الله عليه وآله وسلم
- لا يلويه عن ذلك لاو).

والحب لآل البيت مفتاح شخصيته، فيه يوالي وبه يعادي، ويحب ويكره ويسخط ويرضى، ويخطئ ويصيب،

يضحي من أجله، وإن كان الموت الأحمر - الفقر - بانتظاره، فقد أعدّ - من أجل ذلك الحب - للبلاء جلباباً، ومن أحبّ شيئاً لهجّ بذكره رغم لوم اللاتمين، لذا يقول:

وتظّل مشغوفاً بهم وتبيت	قالوا : إلامّ تحبّ آل محمد
أرشدت نهج ودادهم فهديت	فأجبتهم : كفوا الملام فإنني
أرضيت؟ قلت : نعم، رضيت، رضيت	قالوا : فإن الفقر حظّ محبهم

ويقول في قصيدة أخرى:

الطهر أهل الرشد	حبّ علي وبنيه
من والد وولد	فرض على كل الوري
أخرجتها من جسدي	لو أبغضتهم مهجتي

وحيثما يتذكر كربلاء وشهادة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) يقول في قصيدة له :

رماً بمنع عيوننا طعم الكرى	و (بكربلا) عرج فإب (بكربلا)
وبكت لمقتله نجيعاً أحمر	حيث الذي حزنتم لمصرعه السما

ومن أجل الحب، يقول في قصيدته التي لم يكملها حيث انتقل إلى الرفيق الأعلى:

إذ لاح برق (الأبرق) يسوقها	ألا في سبيل الحب مهجة وامق
وتفضح شمس الأفق نور شروقها	وغيداء يسبي الغصن لين قوامها
كووس هوّ ما خلّت أني أذوقها	سقتني على ألي الشبيبة والصبا

وبعد فإن الشاعر إنما هو شعره، وهذا هو الهبل في شعره الذي لم يشغل اليمينيين شعر أي شاعر في تاريخهم الأدبي كما شغلهم شعر (الهبل).

ركن الأسرة

عيد ميلاد فاطمة

عقيل الرماحي

كان الوقت ليلاً حين ذهبت فاطمة إلى سريرها لتنام، وما إن وضعت رأسها على الوسادة حتى صارت تفكر في أشياء كثيرة لكي تنجزها بعد حفلة عيد ميلادها (التاسع) وظهر على وجهها وعينها علامات الحزن والقلق. قالت فاطمة وقد ركزت بنظرها إلى إحدى زوايا الغرفة: غداً سيحل عيد ميلادي التاسع، ولم تسألني أمي - كما في كل مرة - عن هديتي لكي تشتريها لي.. هل نسيت تاريخ عيد ميلادي؟ ربما.. ثم قالت: مَنْ يقول ذلك؟ فلا زال لديها الوقت لتشتري لي الهدية.. وبقيت أسئلة فاطمة بدون جواب، وراحت تتقلب في فراشها يميناً ويساراً كمن أضاع شيئاً ولم يعثر عليه، ثم جلست على فراشها وقد وضعت يدها على خدها متحيرة ثم قالت لكي ترضي نفسها: ربما لا يملك والدي المال، فأنا لا أعرف الظروف التي يمر بها والدي. ثم قالت: يمكنني أن أؤجل حفلة عيد الميلاد إلى الشهر القادم.. ولكن ماذا أقول لصديقتي زهراء، وكيف أعتذر لها، فلقد قلت لها إن غداً هو يوم عيد ميلادي. وما إن التفتت فاطمة إلى الجهة اليسرى حتى وقعت نظرة منها على صورة أمها التي وضعتها قرب سريرها، وهي تبسم، وكأنما تقول لها: أنا لم أنس - يا عزيزتي - عيد ميلادك، وكيف أنسى اليوم الذي ولدت فيه.. أنه يوم ولادة الإمام المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الخامس عشر من شعبان. لقد شعرت فاطمة وهي تقرأ في ابتسامة أمها تلك الكلمات كأن شيئاً ثقيلاً كان يزاحم أنفاسها قد رفع من على صدرها، فابتسمت ابتسامة خفيفة ثم مدت يدها إلى صورة أمها وقبلتها. وبعد أن أطفأت فاطمة نور غرفتها راحت تغط في نوم عميق. وفي صباح اليوم التالي استيقظت فاطمة من نومها، وخرجت من غرفتها تفتش عن أمها، وحين عرفت أنها في المطبخ تعدّ فطور الصباح، وقفت عند باب المطبخ وقالت: صباح الخير يا أمي.. قالت الأم وقد فوجئت بابتسامة أمها: صباح الخير يا عزيزتي، أراك اليوم قد استيقظت مبكرة على غير عادتك؟ قالت فاطمة: هذا صحيح، قلت مع نفسي ربما نسيت أن اليوم هو الخامس عشر من شعبان مولد الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف). قالت الأم وهي مبتسمة: لم أنس يا عزيزتي، ولم أنس أنه يوم عيد ميلادك أيضاً، ولهذا أنت مبكرة اليوم، رغم أنك قد تأخرت أمس، وقد جئت تسأليني عن الهدية. قالت فاطمة: ومن قال لك ذلك؟ قالت الأم وقد اقتربت من فاطمة: قد عرفت ذلك بنفسي.. اطمأني يا عزيزتي فلقد اشتريت لك ما طلبته مني

بالإضافة إلى هدية أخرى سوف تفرحك كثيراً.

فاطمة: وما هي الهدية الأخرى؟

الأم: إن قلت لك ما هي فلن تكون مفاجأة. أما الآن فاعلسي وجهك بالماء والصابون وبدلي ثيابك لتذهبي إلى المدرسة.

وعندما سمعت الأم صوت ابنها علي وهو يلقي على والدته تحية الصباح وهو في غرفته، قالت لفاطمة:

ها قد استيقظ أخوك علي.. هيا أسرع يا فاطمة حتى لا تتأخري عن الدرس.

وبعد أن جلس علي وفاطمة عند مائدة الإفطار ينتظران مجيء والديهما ليأكلا معهما قطعت الأم عليهما حالة الانتظار فقالت:

قولا (بسم الله الرحمن الرحيم) وتناولوا إفطاركما.

قال علي: وأنت يا ماما إلا تفطرين معنا؟! ثم أين والدي ألا يفطر معنا؟!!

الأم: لن نفطر معكم هذا اليوم لأننا صانمان، وأما والدك فقد خرج مبكراً إلى عمله.

قالت فاطمة: ولكننا لسنا في شهر رمضان حتى تصوما؟

الأم: هذا صحيح يا عزيزي، ولكنه صيام مستحب.

علي: وما معنى الصوم المستحب، ثم ما فائدة الصيام؟

الأم: يعني أنك إذا ما صمت في هذا الشهر فلك فيه ثواب كبير عند الله، وليس عليك ذنب إذا لم تصمه، أما صيام شهر رمضان فهو واجب على كل مسلم ومسلمة، يعني إذا لم يكن لديك عذر في عدم صيامك - كالمرض أو السفر - فإن الله (عز وجل) سيعاقبك عقاباً شديداً يوم القيامة، هذا أولاً.

وأما فائدة الصوم فهو أنك إذا صمت فأنت مطيع لأمر الله (سبحانه وتعالى) إذ يقول في القرآن الكريم: (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم).

وفائدة أخرى للصيام أنه يعلمك الصبر على تحمل المصاعب كالجوع والعطش، وفوائد أخرى.

فاطمة: وما ثواب شهر شعبان؟

الأم: ثواب عظيم يا عزيزتي. يقول نبينا الكريم محمد (صلى الله عليه وآله): شعبان شهري، مَنْ صام شهري وجبت له الجنة.

علي: هذا يعني أن لك الجنة يا أمي؟

الأم: أرجو ذلك من الله (سبحانه وتعالى). يقول الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): من صام حياً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) تقرباً إلى الله أحبه الله وقربه إلى كرامته يوم القيامة وأوجب له الجنة.

فاطمة: وهل كان النبي يصوم شهر شعبان ورمضان؟

الأم: يا فاطمة، يا عزيزتي، قبل كل شيء إذا أردت أن تذكرني النبي محمد (صلى الله عليه وآله) فقولني: النبي محمد (صلى الله عليه وآله) وإذا ذكر اسم النبي أمامك فقولني: اللهم صلي على محمد وآل محمد، ففيه ثواب كبير عند الله. يقول النبي محمد (صلى الله عليه وآله): البخيل من ذكرت عنده ولم يصل علي.. فلا تكوني بخيلة.

وثانياً: نعم كان النبي (صلى الله عليه وآله) يصوم شهر شعبان وشهر رمضان معاً.
علي: وماذا عن عيد ميلاد فاطمة اليوم؟
الأم: سوف يكون كل شيء جاهزاً بإنشاء الله.
وهنا دقّ جرس الساعة، فانتبه الجميع لصوته، وعندما نظر علي إلى الساعة قال: إنها الساعة السابعة والنصف، هيا بنا يا فاطمة.
الأم: هيا يا أولادي بسرعة، ولا تقلقوا بشأن عيد الميلاد، انتبهوا إلى دروسكم جيداً.
خرج علي وفاطمة وقد حمل كل منهم حقيبة كتبه على ظهره وهما يركضان، فلم يبق سوى دقائق معدودة للوصول باص المدرسة. أما أمهما فقد وقفت أمام الشباك تودعهما.
وعند الساعة الثامنة مساءً كان الجميع يستعدون للاحتفال بعيد ميلاد فاطمة، وقد لبسوا أفضل ما عندهم من ثياب، إلا أن فاطمة كانت تنتظر صديقتها زهراء، وبعد لحظات حضرت زهراء وهي تحمل في يدها علبة وقد غلفتها بغلاف جميل، وبعد أن سلمت على الجميع قالت:
أرجو أن لا أكون قد تأخرت عليك يا عزيزتي فاطمة؟
قال الأب: لا يا عزيزتي.. أما الآن دعونا نذهب إلى الغرفة الثانية لنبدأ الاحتفال.
قالت فاطمة: لكننا لن نزين الغرفة بعد يا أبي؟
الأم: أطمئني، فقد قمت أنا والدك بتزيين الغرفة وتحضير كعكة عيد الميلاد.. وسوف ترين ذلك.
وتوجه الجميع إلى الغرفة فرحين تتقدمهم فاطمة وقد أمسكت بيد صديقتها زهراء.
لقد فوجئت فاطمة وهي ترى كل شيء جاهزاً، التفتت إلى أمها مبتسمة ثم أخذت يد أمها تقبلها، وتقول:
سلمت يداك يا أمي.
وبعد أن أشعلت الشموع، قال الأب وهو يرى الفرحة الكبيرة والابتسامة العريضة على وجه فاطمة:
لقد أعددت قصيدة بمناسبة عيد ميلاد إمامنا الحجة بن الحسن (عجل الله فرجه) . سأنشدها لكم.. وأرجو أن يكون أداني مقبولا.
وصفق الجميع، وانشد الأب قصيدة، ومن ثم أطفأت فاطمة الشموع.
وقبل أن تقطع الكعكة قالت الأم وهي تقبل ابنتها فاطمة:
ألف مبروك يا عزيزتي عيد ميلادك، وهذه هي هديتك كما طلبتي، ساعة جميلة، أرجو أن تعجبك. ثم تقدم علي من أخته فاطمة وقال: ألف مبروك، وهذه هديتي لك آلة حاسبة أرجو أن تعجبك.
قالت الأم: ومن أين لك المال؟
علي: لقد جمعته من مصروفي اليومي يا أمي..
قالت الأم: شيء عظيم يا عزيزي.
وقال الأب وهو يقبل ابنته: يا فاطمة.. لقد استلمت الهدية من أمك، وأما المفاجأة فهذه، افتحها.
وما إن فتحت فاطمة غلاف هديتها حتى وجدت نسخة من القرآن الكريم وغطاء للرأس ولباساً للصلاة.
قالت فاطمة: إنه حقاً مفاجأة. أنها أغلى وأجمل هدية شكراً لك يا والدي.
ثم تقدمت زهراء من صديقتها فاطمة وقالت: وهذه هديتي لك يا عزيزتي فاطمة.

وحين فتحت فاطمة هدية زهراء وجدت فيها سجادة للصلاة.. عندها قالت فاطمة:
- إنها مفاجأة أخرى جميلة، شكراً لك يا صديقتي.
قال الأب: يا عزيزي علي، اليوم تبلغ فاطمة سن التاسعة، وهو سن التكليف. يعني أن الصلاة أصبحت واجبة عليها، وسوف تقف إلى جانب أمها لتتعلم منها، وسوف تصوم معنا شهر رمضان.
قال علي: ولكن عمري أكبر من عمر فاطمة، فهل تجب علي الصلاة والصيام؟
قال الأب: لا، يا بني، ولكن عندما تبلغ سن الخامسة عشر عاماً سيكون ذلك واجباً عليك.
وأما الفتيات فيجب عليهن الصلاة والصيام في سن التاسعة، وإنني أشكر زهراء على هديتها لفاطمة، فعلاً إنها فتاة طيبة مؤمنة تستحق التقدير.
قالت فاطمة: فعلاً يا أبي، إن زهراء أعز صديقة عندي، ولكن يا أبي غطاء الرأس يبعثر شعري والجو صيف وحار جداً.
قالت الأم: إذا أجبت أن تكوني فتاة مؤمنة مطيعة لله ورسوله فعليك أن ترتدي الحجاب.
قال علي: هل سأكل فطوري وغذائي لوحدي في شهر رمضان؟
قال الأب: إذا أردت أن تصوم، فلا بأس في ذلك، فسوف يرضى الله عنك ويوفقك في حياتك ويعطيك أجراً عظيماً، ثم إن الصيام يعلم الإنسان على أشياء كثيرة، ولا تنسى قراءة القرآن الكريم في شهر رمضان.
قالت زهراء: هذا صحيح، فأخي أحمد يصوم ويصلي معنا كل سنة مع أنه لم يبلغ سن التكليف.
قالت فاطمة: شكراً لك يا أبي على الهدية، وخصوصاً القرآن الكريم ونحن على أبواب شهر رمضان، شهر الطاعة والغفران.

ركن الأسرة

قضايا الشباب...توجهات وهموم

حيدر الجراح

لعل أخطر ما يواجه أعظم رأسمال بشري - وهو الشباب - في عصرنا الحاضر، هو غياب الرؤية السليمة لمشاكل الشباب في مختلف بقاع المعمورة، وعدم وضع المناهج الصحيحة لحل مشاكلهم، لأن المناهج الحالية تفتقر إلى العمق والجديّة، ولأنّها تستعير أنماطاً ونظريات وتجارب شرقية أو غربية وتستبعد جميع الحلول الإسلامية من مخططاتها.

مشاكل الشباب تلك أخذت بالازدياد من بطالة وإدمان على المخدرات وعنف واغتصاب وارتفاع في معدلات سن الزواج، إلى غيرها من موارد الضياع والانحراف لتلك الثروة البشرية. ولو تركت تلك المشاكل بدون علاج ناجح، فإنها ستتفاقم وتستعصي على الحل، وسنرى أجيالاً شابة أخرى أكثر تدهوراً وانحرافاً، لوجود الأسباب المساعدة على هذا التدهور والانحراف. وقبل الخوض في صلب الموضوع لا بأس أن نتطرق إلى مفهوم الشباب (٢٦) والاتجاهات السائدة في تعريف الشباب وتحديد مستوياته العمرية.

الدراسات النظرية وتعريف الشباب

اختلفت كلمات الباحثين في تقديم تعريف شامل وجامع لكلمة الشباب وما تعنيه. ويمكن تحديد تلك التعريفات في أربعة اتجاهات رئيسية، وهي:

١ - الاتجاه السكاني

استند هذا الاتجاه إلى المعيار الخارجي المتمثل بالعمر الذي يقضيه الإنسان في خضمّ التفاعل الاجتماعي، وقد اختلف الباحثون حول بداية هذا العمر ونهايته في مرحلة الشباب. فمنهم من يرى أن الشباب هم من يكونون تحت سن العشرين دون تحديد سن البداية، وهناك رأي يؤكد أن الشباب هم من تتراوح أعمارهم بين سن (١٥) إلى سن (٢٥) بينما يرى آخرون أن الشباب يتمثل بالسن الواقعة في حدود (١٥ - ٣٠)(٢٧).

٢٦ - الشباب (لغة): هو الفتاء والحادثة، وشباب الشيء أوله، وهو كالشبيبة، وقد شبّ يشبّ، وجمع شاب كالشبان. (راجع لسان العرب، ومختار الصحاح).

٢٧ - الشباب الفطري اهتمامه وقضاياها / علي ليلة/ ص ٨.

٢ - الاتجاه الانثروبولوجي

ذهبت العالمة الانثروبولوجية (مارجريت ميد) في وصفها للشباب في أي سنوات ما بعد البلوغ (في غينيا الجديدة)، إلى أنها سنوات التوتر والقلق والفقر والصراع، إذ تعتبر هذه السنوات بالنسبة للإناث سنوات السلبية المفروضة، وبالنسبة لكلا الجنسين تعتبر هذه الفترة السنوات الأخيرة للحرية. إضافة إلى ذلك فهناك المعطيات القيمة التي قدمها علماء الانثروبولوجية في وصف طقوس التعميد التي تجربها المجتمعات البدائية لاختبار صلابة المراهق، والنظر في مدى استحقاقه العضوية الكاملة في بناء القبيلة كوحدة اجتماعية والتي يمكن اعتبارها أساساً للاعتراف الاجتماعي بالشباب عضواً كاملاً له كل حقوق البالغين وعليه كل التزاماتهم (٢٨).

٣ - الاتجاه السيكولوجي

يربط علماء النفس مرحلة الشباب ونهايتها بمدى اكتمال البناء الدافعي للشباب إذا استوعب مجموعة التوجيهات القيمة الكائنة في السياق الاجتماعي من خلال عملية التنشئة التي تقوم بها نظم اجتماعية عديدة على مراحل متتابعة. وإذا استطاعت أن توائم بين هذه التوجهات القيمة من ناحية وبين إشباع حاجاتها واهتماماتها الأساسية من ناحية ثانية بحيث تشير هذه المواءمة إلى امتلاك الشخص لبناء دافعي متكامل يمكنه من التفاعل السوي في المجال الاجتماعي (٢٩).

ويرى علماء النفس أيضاً أن الشباب ليس مرحلة عمرية تتحدد بسن معينة وإنما حالة نفسية لا علاقة لها بالعمر الزمني. فالفرد يعدّ شاباً بمقدار ما يشعر بالحيوية والحماس والحركة والطموح والأمل في الحياة، وكذلك بمقدار ما يستطيع أن يولد في الآخرين الرغبة في العمل والحياة يكون شاباً، وحين يخفق في ذلك يشعر باليأس والإحباط والرغبة في الهروب من الحياة وهذه بدايات مرحلة الشيخوخة (٣٠).

٤ - الاتجاه الاجتماعي

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن فترة الشباب تبدأ حينما يحاول المجتمع تأهيل الشخص الذي يمثل مكانة اجتماعية ويؤدي دوراً أو أدواراً في بنائه، وينتهي حينما يتمكن الشخص من احتلال مكانته وأداء دوره في السياق الاجتماعي وفقاً لمعايير النظم الاجتماعية. وهم يؤكدون - علاوة على ذلك - أن الشخصية تظلّ شابة طالما أن صياغتها النظامية لم تكتمل بعد (٣١). والشباب - وفقاً لهذا الاتجاه - يعيش في عالم مضطرب يتسم بالتغير والتحولات المفاجئة على أكثر من صعيد وفي أكثر من مكان، وتصارعت فيه القيم الاجتماعية والمادية

٢٨ - م. ن / ص ٩.

٢٩ - م. ن / ص ٨.

٣٠ - الصراع القيمي لدى الشباب العربي / محمود سعود / ص ١٩.

٣١ - الشباب الفطري اهتمامه وقضايا / علي ليلة / ص ٩.

مما جعله في صراع نفسي وقيمي وعدم استقرار في طريقة حياته بحيث يتمرد تارة وينحرف تارة أخرى (٣٢).
أما عن خصائص الشباب فيمكن إيرادها ضمن النقاط التالية:

١ - عامل السن : وهو مؤثر ومتميز وأصيل على التجربة الاجتماعية المكتسبة وعلى المعارف والعادات والرغبات والحاجات والاهتمامات (٣٣).

٢ - الديناميكية: ويرجع تميز هذه المرحلة بهذه الميزة لسببين :

(أ) أن فترة الشباب عادة ما تكون الفترة الكائنة بين مرحلتين، مرحلة الإعداد من ناحية، ومرحلة القيام بدور فعال في بناء المجتمع من ناحية أخرى.

(ب) طبيعة التكوين البيولوجي والفسولوجي والوضع الاجتماعي للشخصية الشابة (٣٤).

٣ - انتشار مشاعر القلق والتوتر.

٤ - الميل إلى التجديد.

٥ - الإيمان الكامل بالتغيير.

٦ - الميل إلى الانفتاح.

٧ - محاولة التخلص من كافة الضغوط وألوان القهر المتسلطة عليه من أجل تأكيد التعبير عن الذات.

٨ - إن الشباب هم أكثر فئات المجتمع تأثراً بنتائج التغيرات الاجتماعية السريعة.

والآن، ماذا عن هذه الشريحة داخل الدين الإسلامي باعتباره خاتم الأديان، والحامل للأجوبة العديدة والمتنوعة عن تساؤلات الإنسان والخلاص من عذابه وآلامه؟

لم ترد في القرآن الكريم كلمة الشباب، ولكن بالمقابل وردت كلمة (فتى) ومشتقاتها. قال تعالى: (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم) (٣٥). وهو أبو الأنبياء (عليهم السلام) وثاني أولي العزم وخليل الرحمن، حين أتى له في الغار ١٣ سنة - حيث خبأته أمه بعد ولادته خوفاً عليه من بطش النمرود - نظر إلى الزهرة في السماء فقال: (هذا ربي) فلما غابت الزهرة قال : لو كان ربي مازال ولا برح، ثم قال (لا أحب الآفلين) ومثلها حين رأى القمر والشمس، ثم قال: (لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين) (٣٦). وقد كشف الله تعالى له عن السماوات حتى رأى العرش، وأراه سبحانه ملكوت السماوات والأرض، عندها قال: (يا قوم إني بريء مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين) (٣٧).

ووردت كلمة (فتى) ومشتقاتها أيضاً في قوله تعالى : (وإذ قال موسى لفتهاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع

٣٢ - الصراع القيمي لدى الشباب العربي / محمود سعود / ص ٢٠.

٣٣ - الصحافة والشبيبة / أديب خفور / ص ٢٩.

٣٤ - الشباب الفطري اهتمامه وقضاياها / علي ليلة / ص .

٣٥ - سورة الأنبياء / ٦٠.

٣٦ - سورة الأنعام / ٧٧.

٣٧ - سورة الأنعام / ٧٨ - ٧٩.

البحرين)(٣٨). وقوله تعالى : (فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا)(٣٩) وقوله تعالى : (وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه)(٤٠). وقوله تعالى : (ودخل معه السجن فتيان)(٤١) .

في تلك الآيات ورغم الطابع القصصي فيها فإنها تحتوي على توجيهات عديدة وذكر لفضائل الشباب وأسس التنشئة السليمة التي يحثّ عليها القرآن الكريم دائماً.

ومن تلك الفضائل والقيم التي أكدها القرآن الكريم وأحاديث الرسول وأهل بيته (عليهم السلام): الشهامة : التي تعني عزّة النفس وسموها، فالإنسان الشهم هو الذي يتعالى عن الصغائر ويرفض المساومة في المبادئ والقيم.

والمروءة: التي تعني كرم الأخلاق، والتعالي عن الإهانة، والتعاطف مع الضعيف.

والنزاهة: بمعنى الأمانة والصدق والاستقامة.

والتهذيب: بمعنى الحرص على أدبيات الحياة في المجتمع.

والشجاعة: بمعنى البسالة والجرأة والإقدام والجسارة في مواجهة المخاطر.

والصدق: بمعنى خلوص النية والتعبير عن حقيقة الذات بصراحة واستقامة.

والصبر: بمعنى طول البال والهوادة والقدرة على التحمل والسيطرة على الذات ومقاومة الانفعالات البدائية

في الحالات الصعبة وفي حالات الألم.. إلى غيرها من الفضائل والقيم السامية..

وقد تجسدت تلك القيم والفضائل وأكثر منها، في شخصية الإمام علي (عليه السلام) وكانت أهم سمات حياته

منذ الشباب حتى الكهولة، ومن تلك الصفات التي ميّزت حياة الإمام علي (عليه السلام):

التفتح : ونعني به الاستعداد لتقبل الرأي الجديد والفكرة الحديثة، والمسارة للعمل التغيير غير متقيد

بتقاليد المجتمع ولا مبالٍ بطريقة الآباء والعائلة. فما دام الرأي الجديد حقاً، والفكرة الحديثة صحيحة، فيجب

المبادرة لاعتناقها والعمل من أجلها.

لذا اعتبر العلماء أن من أبرز خصائص الإمام علي (عليه السلام) سبقه للإسلام والصلاة مع رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم). وقد روي عن سلمان الفارسي، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه

قال: (أولكم وروداً عليّ الحوض أولكم إسلاماً علي بن أبي طالب)(٤٢).

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : (بُعْث رسول الله (ص) يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء)(٤٣).

وحينما سئل : يا علي هل استشرت أبائك عندما آمنت بمحمد؟ أجاب : وهل استشار الله أبي حينما

٣٨ - سورة الكهف / ٦٠.

٣٩ - سورة الكهف / ٦٢.

٤٠ - سورة يوسف / ٣٠.

٤١ - سورة يوسف / ٣٦.

٤٢ - بحار الأنوار / المجلسي / ج ٣٨ / ص ٢٧٠.

٤٣ - المصدر نفسه.

خلقتني؟(٤٤).

الطموح : ونلمس هذه الصفة منذ سني حياته الأولى، حينما أمر الله تعالى نبيه محمداً (ص) بإنذار عشيرته، بقوله تعالى: (وانذر عشيرتك الأقربين)(٤٥) فدعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بني عبد المطلب - وهم يومئذ أربعون رجلاً - وبعد أن قدم لهم الطعام قام قائلاً : يا بني عبد المطلب! إني أنا النذير إليكم من الله عز وجل والبشير، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا.. ثم قال : من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهلي ويقضي ديني؟ فسكت القوم.

فأعادها ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم، ويقول علي: أنا. فقال في المرة الثالثة : أنت(٤٦).

لقد كان طموحه (عليه السلام) أن يكون الرجل الثاني في قيادة العالم نحو السعادة والتقدم رغبة في رضوان الله وثوابه.

الثقة بالنفس: اخترق الإمام علي (عليه السلام) حاجز العمر وتمرد على هذه القيمة الجاهلية، حيث كان يعيش في مجتمع يحتل فيه العمر مكانة سامية، ومارس ثقته بنفسه.

ففي واقعة الخندق لما برز عمرو بن عبد ود الفارس المشهور من بني عامر بن لؤي وتخوف الناس من مبارزته، نادى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : من منكم يبرز لعمر؟

فقام علي وقال : أنا يا رسول الله، فقال له النبي : إنه عمرو، قال : وأنا علي (٤٧).

والسؤال : كيف يمكن أن نعالج مشاكل الشباب في هذا العصر؟

(هناك مسؤولية كبيرة على عاتق الجميع، فإن تملك زمام الشباب لا يكون إلا بجانب بناء صحيح في العقيدة والعمل بحيث يوفر للشباب - من الجنسين - العمل في قبال البطالة، والعلم والدراسة في قبال الجهالة، والسكن والمسكن والعلاج الصحي والحماسة في قبال عدمها)(٤٨).

ويجب أيضاً بث التوعية في صفوف الشباب حتى يعرف كيف يسلك سبل الحياة الآمنة(٤٩) واللازم على القادة أن يهيئوا للشباب الدراسة والعلم بما للكلمة من معنى(٥٠) وكذلك من الضروري إيجاد فرص عمل للشباب حتى لا يبقى الشاب عاطلاً (٥١) وعلى القادة المهتمين بأمور الشباب أن يزوجوا الشباب بنين وبنات وفي أعمار مبكرة من خلال تذليل معوقات الزواج (٥٢) وكذلك أوقات الشباب بحيث تملأ الفراغات فيها بأسباب

٤٤ - ذلكم الإمام علي / هادي المدرسي / ص ٤٥.

٤٥ - سورة الشعراء / ٢١٤.

٤٦ - مجمع البيان في تفسير القرآن / الطبري / ج ١٩ / ص ١٨٨.

٤٧ - علي من المهدي إلى اللحد، محمد كاظم القزويني / ص ١٢٧.

٤٨ - الشباب. الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (دام ظله)/ ص ٢١.

٤٩ - المصدر نفسه/ ص ٢٢.

٥٠ - المصدر نفسه/ ٢٩.

٥١ - المصدر نفسه/ ص ٣٥.

٥٢ - المصدر نفسه/ ٤٣.

العلم والتقدم. وذلك بمختلف المناهج السمعية والبصرية والأمور الثقافية أو الترفيهية(٥٣). إلى كثير من المسائل الناجحة الأخرى.

٥٣ - المصدر نفسه/ ص ٨٤.

ركن الأسرة

مرحلة الشباب

القلق والصعوبات.. واهتمامات المربين

عبد الحكيم السلوم

إن حياة الإنسان - وما يتخللها من تقلبات ومنعطفات - تتلخص في ثلاث مراحل هي : الطفولة، والشباب، والشيخوخة. وتعتبر مرحلة الشباب بمثابة مركز القوة والنشاط في حياة الإنسان، وهذا المركز يحيط به ضعف أيام الطفولة من جهة وعجز أيام الشيخوخة من جهة أخرى.

والإنسان - وهو يطوي مراحل الحياة بكل أبعادها وتضاريسها - أشبه ما يكون بمتسلق الجبال الذي يقضي يوماً كاملاً صعوداً إلى قمة الجبل، ويقضي يوماً آخر نزولاً إلى سفح الجبل. فكلما خطا خطوة صعوداً كلما بدأت رؤيته تتسع، والأماكن الجميلة تتضح أمامه. وعندما يبلغ قمة الجبل يصبح مشرفاً إشرافاً كاملاً على كل من حوله وما حوله، وتصبح أعلى المناظر وأبعدها في مدى ناظره.

وذلك على عكس حالة النزول، فكلما خطا خطوة نزولاً كلما أخذت رؤيته تنحسر وتضيق، والأماكن الجميلة تغيب تدريجياً حتى تختفي كلياً عن ناظره.

إشارة قرآنية

إن أيام الشباب تعني بلوغ أعلى القمم وشروع أجمل مراحل العمر. والشباب في هذه المرحلة يرى الأشياء جميلة والأفق واسعاً مليئاً بكل ما يستهويه ويرتضيه، ويصبح غارقاً بالآمال والأمنيات، وقلبه طافحاً بالحب والأمل.. وقبل مرحلة الشباب يبدأ الطفل بشق طريقه باتجاه القوة والنشاط. وكلما مضى عليه عام ازداد قوة حتى يبلغ قمة الشباب حيث يكون في أوج قوته ونشاطه.

وعلى عكس ذلك مرحلة ما بعد الشباب، حيث يبدأ الإنسان مسيرته نحو العجز والعدم، وكلما مضى عليه عام بات أضعف من ذي قبل، ويتتابع ضعفه حتى يبلغ الشيخوخة ويصل إلى أعلى درجات العجز كما يشير القرآن : (وَمَنْ نَعْمَرَهُ نُنْكَسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ) (٥٤).

إن مراحل الطفولة والشباب والشيخوخة في برنامج الحياة الطبيعية للإنسان، تدخل في إطار قانون التكوين وسنة الله تبارك وتعالى في نظام الخلقة. ويبين القرآن الكريم هذه المراحل الثلاث في آية شريفة واحدة، يقول تعالى: (الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفاً وشيبة يخلق ما يشاء

وهو العليم القدير)(٥٥).

نعمة الشباب

لقد وصف أنبياء الله وأوليأؤه (عليهم السلام) الشباب بأنه من جزيل نعم الله سبحانه وتعالى، وأنه ثروة عظيمة في حياة الإنسان وسعادته، وقد أوضح الإسلام أهمية مرحلة الشباب وعظمة هذه النعمة، وذلك في الكثير من الأحاديث والروايات:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (إنَّ العبد لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه)(٥٦).

وقال الإمام علي (عليه السلام) : (شبان لا يُعرف فضلُهما إلّا من فقدَهما : الشباب والعافية).
وقال أبو عبد الله (عليه السلام) : كان فيما وعظ به لقمان ابنه : (يا بني واعلم أنك ستسأل غداً إذا وقفت بين يدي الله عز وجل عن أربع : شبابك فيما أبليتَه، وعمرُك فيما أفنيتَه، ومالك مما اكتسبتَه، وفيما أنفقتَه)(٥٧).

تعامل الوالدين

إن من واجب الآباء والمربين أن يراعوا حالة التأثير السريع لدى الشباب، ويتصرفوا معهم بأعلى صور التقدير والاحترام. عليهم أن يلتفتوا إلى نقطة مهمة وهي أن عدم احترام الشاب وتحقير شخصيته، يولد في نفسه روح القسوة والانتقام.

إن الوالدين الذين لم يهتمّا بعواطف ومشاعر أبنائهما ويتصرفان معهم بقسوة ويقذفانهم بكلمات جارحة، يتسببان من حيث لا يشعران في عذاب أبنائهما، وينبغي لهما أن يعلما أنهما يسوقان فلذات أكبادهما نحو الرذيلة والأخلاق المذمومة، ويولدان في أنفسهم روح الانتقام، وينمّيان في أفكارهم الميل إلى الإجرام. قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (يا علي : لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما)(٥٨).

الهدم والبناء

يقول الإمام الشيرازي (دام ظله) : (إن الإنسان إذا لم يصرف فطرته الخلاقة في البناء، لابد أن يصرف فطرته في الهدم، سواء في هدم نفسه أو هدم مجتمعه، فإن أفراد الإنسان والحيوان والنبات كلها خلقة)(٥٩).

٥٥ - سورة الروم : الآية ٥٤.

٥٦ - تاريخ يعقوبي : ص ٥٩.

٥٧ - غرر الحكم : ص ٤٤٩.

٥٨ - الكافي : ج ٢، ص ١٣٥.

٥٩ - وسائل الشيعة : ج ٥، ص ١٥٥.

لذلك فإن الشباب الذين يسلّمون أنفسهم للمواهب السلبية، لا يدرون بأنهم يقيّدون أنفسهم بقيود لا يمكنهم النجاة منها بسهولة، ونتيجة لجهلهم يتصورونها أمراً بسيطاً. لذلك فالشباب الذين يتوخون سعادتهم وينشدون رفاههم، يجب أن يكونوا أذكياء وأن لا يوقعوا أنفسهم في شرك المواهب المنحرفة. ولو صدر منهم عمل سيئ يجب أن يمتنعوا عن تكراره لأن تكراره مقدمة لاستفحال وتجذر الميل إلى الأخلاق الذميمة التي تؤدي إلى دمار الشخصية وتفككها.

فعلى المربي الصادق والمرشد الاجتماعي المخلص في عمله بالنسبة إلى الشباب، أن لا يحملهم فكراً خاصاً أو إرادة معينة، ولا يجعلهم أسراء فكرة معينة ودعايات خادعة. والطريق الصحيح والمنطقي الذي يجب أن يتبعه المربي والمصلح الاجتماعي تجاه الشباب هو أن يسلط الأضواء على المسائل الاجتماعية الغامضة وخاصة مسائل الشباب الملحة ليتسنى لهم رؤية كل الطرق بوضوح كي ينتخبوا أفضلها.

مشاكل الجيل الصاعد

يقول الإمام الشيرازي (دام ظله): (إن المحيط الاجتماعي تابع للإنسان، لأن المحيط الاجتماعي إنما يتكوّن من لبنات إنسانية، فإن صلحت تلك اللبنة صلح المحيط الاجتماعي والعكس بالعكس. ولذا نرى أن المجتمع المثالي هو المجتمع الذي صلح أفرادُه، فقد قال رسول الله - صلى الله عليه وآله - : (خير القرون قرني) (٦٠). لذلك نجد أن شباب هذا العصر يواجهون بعض العقد والمشاكل المهمة التي تنعّص عليه حياته وتؤذيه طالما بقيت هذه العقد والمشاكل بغير حل. ثم إن مسألة الشباب هي الأخرى تبقى من دون حل أيضاً، حيث:

(أ) إن الشباب قلقون من مستقبلهم. فهم تواقون لتجديد مستقبلهم وكذلك مسار عملهم، ولكن العمل غير متوفر والمستقبل معتم ومصيره مجهول. وفي هذه الحالة يبقى الشاب بدون عمل ومن البديهي أن روح مثل هذا الشاب تصبح أكثر استعداداً لتقبل بذور الانحراف وتنميتها.

(ب) إن الشباب يريدون ملاذاً وحماية وليس من السهل تحصيلها.

(ج) معترك الحياة الجديدة والقديمة والمشاكل الناجمة بسبب تغيّر الزمان (٦١).

من مميزات عصرنا الحاضر أنه جعل الشباب وسط معترك عجيب بين الحياة الجديدة والقديمة. الآباء والأمهات قد عاشوا في عصر معين ونشأوا وترعرعوا على أصوله وعاداته، أما أبنائهم الشباب فيعيشون في محيط وعصر آخر. فتربيتهم في دور الطفولة وشروط محيط أسرته تتطلب شكلاً معيناً، ومحيطهم الاجتماعي الحاضر يتطلب شكلاً آخر.

لذلك على المربين والمرشدين أن يعلموا الشباب كيف يميزون بين المسائل الإيجابية الواضحة والمسائل السلبية الغامضة للحياة الحاضرة، وكيف أن المسائل الإيجابية لا تتعارض مع الاحتفاظ بالقواعد الدينية والأخلاقية، وكيف يمكنهم الاستفادة من الجهات المختلفة للحياة الحاضرة مع الاحتفاظ بقواعد الالتزام بالأسس

٦٠ - الصياغة الجديدة لعالم الإيمان والحرية والرفاه والسلام، الإمام الشيرازي، ص ٤٣.

٦١ - راجع المصدر السابق، ص ٥٧.

طريق صلاح الشباب

نحن نعلم بوجود:

أ - منظمات لإرشاد الشباب.

ب - لجان مشرفة على الأفلام.

ج - لجان مشرفة على المطبوعات.

د - لجان لمكافحة المواد المخدرة.

و - لجان مكافحة البطالة.

هـ - نوادي ألعاب مسلية.

فلماذا - إذن - لا يزال الوضع مؤسفاً بالنسبة للشباب، وهناك انحدار وتمزق مستمر رغم وجود هذه المنظمات واللجان وغيرها؟

(١) ربما يعود ذلك إلى: اهتمام أولياء الأمور بكل جوانب التربية والتعليم. فيعطون بعض جوانب التعليم رعاية واهتماماً، أما التربية فلا يعيرونها أدنى اهتمام!

(٢) عدم اهتمام محررو الصحف والمجلات بقضايا الشباب المعاصرة، وعدم الاهتمام بالدعوة إلى إيجاد الحلول المناسبة للمشاكل الصعبة.

نعم، طريق صلاح الشباب هو إنارة أفكارهم والنفوذ إلى قلوبهم وإيجاد تحول روعي في نفوسهم، كما تقوم بذلك مجالس التبليغ الدينية حيث تعتبر من أحسن وأنجح الوسائل التي تنفذ إلى أفكار الشباب وتؤثر فيهم بصورة بالغة..

شبهات وردود

السجود على التربة

نزار مصطفى

قد يتساءل البعض عن الوجه الشرعي لبعض صور العبادات التي يؤديها الشيعة. ولا غرابة في ذلك من قبل من ليس له الاطلاع أو الإلمام بما جاء في كتب الفقه. ومن هذه العبادات، السجود على التربة عند الشيعة الإمامية، حيث الأسئلة حول هذا الموضوع كثيرة جداً ونحن بدورنا نجيب عليها بما دلت عليه كتب الفقه والأحاديث.

س: يعتبر البعض أن السجود على التربة كالسجود للصنم، فما هو جوابكم؟

ج: هناك فرق بين السجود للشيء والسجود على الشيء.

فالسجود للشيء: يُعتبر عبادةً له، بينما لا يعتبر السجود على الشيء عبادةً له. فالسجود يكون لله وحده لا شريك له، وهو الخالق الذي يستحق العبادة وهذا مما لا خلاف فيه بين المسلمين. أما المسجود على الشيء، أي ما يضع الساجد جبهتيه عليه، فالشيعة الإمامية ترى أن السجود على التربة هو شرط لصحة الصلاة، أما السجود على السجّاد المصنوع من القطن، أو الكتان، أو الصوف أو الجلود فلا يجوز، وبه لا تكون الصلاة صحيحة.

س ٢: لماذا جعلتم السجود على التربة شرطاً في صحة الصلاة دون غيرها من المسجودات عليها؟

ج: لأن السجود ركن من أركان الصلاة. فلا يصح السجود إلا بشرط صحة المسجود عليه.

والتي يجب على المكلف الالتزام بها كي تصح صلاته. وهذه الشروط هي وجوب السجود على الأرض الطاهرة أو ما أنبتت غير مأكول ولا ملبوس. فلا يجوز السجود على ما يؤكل أو يلبس ولو مما أنبتت الأرض، كالقطن والكتان وثمار الأشجار. وكذلك لا يجوز السجود على السجّاد والفرش المصنّعة من جلود الحيوانات وأوبارها وأصوافها والبلاستيك والمعادن وغيرها.

س ٣: ما الدليل على ذلك من القرآن والسنة؟

ج: لم يبين القرآن الكريم شروط المسجود عليه، وإنما بينت ذلك السنة النبوية المطهرة. فقد جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله): (جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهوراً) (٦٢) الذي رواه كلا الفريقين الشيعة والسنة والمتبادر من الحديث أن كل جزء من الأرض مسجداً وطهوراً يُسجد عليه ويُقصد للتيمم. وعلى ذلك فالأرض تقصد لجهتين للسجود تارة، وللتيمم أخرى.

والذي يؤكد حصر السجود على الأرض أن النبي (صلى الله عليه وآله) وصحبه الكرام كانوا ملتزمين بالسجود على الأرض متحمليين شدة الرمضاء ولم يسجد أحد يوم ذاك على الثوب، إذ لو جاز السجود على الثوب

لما كانت هناك حاجة إلى تبريد الحصى بأكفهم لرفع الأذى عن الجبهة ثم السجود عليها.
فعن جابر الأنصاري (رض) قال: (كنت أصلي مع النبي (صلى الله عليه وآله) الظهر فأخذ قبضة من الحصى فاجعلها في كفي ثم أحولها إلى الكف الأخرى حتى تبرد، ثم أضعها لجبيني حتى أسجد عليها من شدة الحر)(٦٣).

وروى أنس قائلًا: (كنا مع رسول الله (ص) في شدة الحر فيأخذ أحدنا الحصباء في يده فإذا أبرد وضعه وسجد عليه)(٦٤).

وهذه الروايات تدل على أن النبي كان يأمر أصحابه بالسجود على الأرض دون الثياب وإن آذتهم شدة الحر، مع كونه بالمؤمنين رؤوف رحيم وقد التزم الشيعة بهذه السنة النبوية ولم يغيروها.
س٤: ولكنكم تسجدون على التربة وليس على الأرض كما ورد في الحديث؟
ج: إن السجود على التربة، يقابله السجود على الحصى عن الصحابة والمحصلة واحدة كما ترى، وهي أن الاثنين - التربة والحصى - من الأرض.

إن الشيعة يتخذون التربة من الأرض الطاهرة لكي يطمئن المصلي إلى عدم نجاسة موضع السجود، لأنه لا يجوز السجود على المواضع النجسة، وهذا مما يسهل الأمر على المصلي في سفره وحضره.

س٥: ما العلة في السجود على التراب؟

ج: إن العلة في السجود على التراب، هو التذلل لله تعالى. كما جاء في الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) حيث قال: (ينبغي للمصلي أن يباشر بجبهته الأرض، ويعقر وجهه في التراب، لأنه من التذلل لله)(٦٥).
وروى الصدوق بإسناده عن هشام بن الحكم أنه قال لأبي عبد الله (عليه السلام): أخبرني عما يجوز السجود عليه، وعما لا يجوز؟

قال (عليه السلام): السجود لا يجوز إلا على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلا ما أكل أو لبس.

فقال له: جعلت فداك، ما العلة في ذلك؟

قال: لأن السجود خضوع لله عز وجل، فلا ينبغي أن يكون على ما يؤكل ويلبس، لأن أبناء الدنيا عبيد ما يأكلون ويلبسون والساجد - في سجوده - في عبادة الله عز وجل، فلا ينبغي أن يضع جبهته في السجود على معبود أبناء الدنيا الذين اغتروا بغرورها)(٦٦).

وقد ورد في الحديث عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أنه قال: تَرَبَّوا وجوهكم وعَقَرُوا أنوفكم بالتراب)(٦٧).

فالسجود خضوع وخشوع لله تعالى وتذلل وتصاغُر له سبحانه وهذا الخضوع والتذلل يتحقق بالسجود على

٦٣ - مسند أحمد بن حنبل ج ٣، ص ٣٢٧، من حديث جابر وسنن البيهقي ج ١، ص ٤٣٩.

٦٤ - السنن الكبرى ج ٢، ص ١٠٦.

٦٥ - مستدرک الوسائل ج ٤، باب ١٠ من أبواب ما يسجد عليه.

٦٦ - وسائل الشيعة ج ٣، الباب الأول من أبواب ما يسجد عليه. الحديث الأول.

٦٧ - الترغيب والترهيب ج ١، ص ٥٨١.

التراب، بتغفير الجبين وتدريبه، وأما السجود على الفرش الغالية والسجاد الثمين فليس فيه خضوع ولا خشوع، بل يبعث على الكبرياء والاستعلاء.

س ٦: لكن وردت بعض الأحاديث التي يستفاد منها صحة السجود على الثوب وما أشبهه، فما هو جوابكم؟
ج: نعم وردت بعض الأحاديث التي يُستفاد منها جواز السجود على الثوب، وهذه جوزت للمعذور في الحالات الاضطرارية التي لا يتمكن المصلي فيها من وضع جبهته على الأرض لشدة الحرارة كما في بعض الأحاديث التي وردت في صحيح البخاري، وبقية الصحاح الأخرى.

كما أن هناك حالات استثنائية أخرى يجوز فيها للمصلي أن يسجد على ثوبه أو عمامته كمن كان - مثلاً - محبوساً في سجن أرضه من حديد ولم يجد أرضاً أو نباتاً غير مأكول ولا ملبوس ليسجد عليه.
أما في غير حالات العذر والاضطرار فلا يجوز السجود إلا على الأرض أو ما أنبتت مما لا يؤكل ولا يلبس.

س ٧: لماذا تسجدون على خصوص تربة كربلاء والتي تسمى (التربة الحسينية)؟

ج: السجود على التربة الحسينية ليس هو فرض محتم، ولا واجب شرعي، ولا مما ألزمه المذهب، ولا يفرق أي أحد من الشيعة بين التربة الحسينية وسائر تراب الأرض، فالمسألة لا تعدو كونها اختيار الأفضل للسجود عليه، والذي أكد هذا الفضل هو ما جاء في أحاديث أئمة أهل البيت (عليه السلام) حيث روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: السجود على طين قبر الحسين يَنُورُ إلى الأرضين السبع، ومن كانت معه سُبُحة من طين قبر الحسين كُتِبَ مُسَبِّحاً وإن لم يُسَبِّحْ (٦٨).

وفي حديث آخر، قال الإمام الصادق (عليه السلام) إن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانت سبحتها من خيط صُوف مُقَتَّلٍ معقود التكبيرات، وكانت تديرها بيدها، تكبر وتُسَبِّح، حتى قتل حمزة بن عبد المطلب، فاستعملت تربته وعملت منها السُبُحة فاستعملها الناس، فلما قتل الحسين (عليه السلام) عُدل بالأمر إليه فاستعملوا تربته، لما فيها من الفضل والمزية (٦٩).

قال العلامة الأميني (رحمه الله): نحن نتخذ من تربة كربلاء قطعاً لمعاً، وأقراصاً نسجد عليها، كما كان فقيه السلف مسروق بن الأجدع يحمل معه لبنة من تربة المدينة المنورة يسجد عليها، والرجل تلميذ الخلافة الراشدة فقيه المدينة، ومعلم السنّة بها، وحاشاه من البدعة. فليس في ذلك أي حزاة تعسف أو شيء يضاد نداء القرآن الكريم أو يخالف سنّة الله وسنّة رسوله (صلى الله عليه وآله) أو خروج من حكم العقل والاعتبار.

٦٨ - وسائل الشيعة ج ٢، ص ٦٠٨.

٦٩ - بحار الأنوار، باب السجود.

من أعلام الشيعة

ابن السكّيت

الإمام في اللغة والأدب

عبد الحسين العسكري

ابن السكّيت هو (يعقوب بن إسحاق) وكنيته (أبو يوسف). وقد اشتهر والده بـ (السكّيت) لأنه كان كثير السكوت والصمت. وُلد ابن السكّيت في إحدى المدن التاريخية المعروفة في الأهواز، وهي (الدورق) التي عُرف أهلها بموالاة أهل البيت (عليه السلام). ومنهم الثقة (علي بن مهزيار الدورقي) الراوية المعروف. ولابن السكّيت مرتبة رفيعة جداً في النحو واللغة والأدب. يشهد له بذلك كثير من أئمة اللغة من أبناء العامة. يقول عنه اللغوي المعروف أبو الفداء : (كان إماماً في اللغة والأدب) (٧٠). ويقول ابن العماد : (سبق أقرانه في الأدب، مع حظ وافر في السنن والدين) (٧١). وهو عند الأنباري : (من أكابر أهل اللغة) (٧٢).

ولكن شعلة هذا الأديب البارع والعالم الثقة، قد حيل بينها وبين الأمة، ووُضعت الحواجز دون الاستضاءة بنورها الساطع، كما هو شأن كثير من عظماء الإسلام من أتباع مدرسة آل الرسول الكرام، حيث تُطمس آثارهم - ظلماً وعدواناً - وتُخفى معالمهم الكريمة ومساهماتهم العظيمة! وما هذا الجفاء بحق هؤلاء الأفاضل إلا للتقصير المتعمد بحق أهل البيت (عليه السلام) فهم لم ينقموا من هؤلاء العلماء الأبرار إلا لأنهم اتّبعوا آل النبي الأظهر. فهذا التاريخ يحدثنا عن كثير من العظماء الذين برزوا في مدرسة أهل البيت (عليه السلام) وقدموا خدماتهم وأعمالهم وحياتهم لأمتهم - بل للعالم أجمع - ومع ذلك لم توفَّ حقوقهم ولم يكرموا بما يستحقون. فذاك جابر بن حيان الكيميائي العبقرى تلميذ الإمام الصادق (عليه السلام)، وهذا ابن سينا الفيلسوف العظيم، وصدر المتألهين المبدع، وغيرهم كثيرون. ومن هؤلاء، العالم الثقة إمام اللغة والأدب (ابن السكّيت) الذي وُصف بأنه كان (متصرفاً في أنواع العلوم) (٧٣).

٧٠ - راجع كتابه: المختصر في أخبار البشر

٧١ - راجع كتابه: شذرات الذهب.

٧٢ - راجع كتابه: نزهة الأدباء. ولمزيد من الكلمات حول هذا الرجل الفذ، راجع كتاب (ابن السكّيت) (حبيب عبد الحميد الهلالي). حيث نقل جملة من الكلمات حول ابن السكّيت عن كثير من الأعلام المعروفين.

٧٣ - هكذا قال عنه ابن النديم، وكذا قول ثعلب فيه. راجع: الفهرست، وتاريخ بغداد.

وبسبب هذه المكانة العلمية الكبيرة، قام الخليفة العباسي المتوكل باعتماد ابن السكيت مدرساً لولديه (المؤيد) و (المعتز). ثم جعله في عداد ندمانه والمقربين، وكان يغدق عليه الأموال ويُبَالِغ في إكرامه. ولم يكن المتوكل يعلم بأن ابن السكيت محباً لأهل البيت شديد الولاء لهم. وكان ابن السكيت من أصحاب الإمامين محمد الجواد وعلي الهادي (عليهما السلام) بل من المقربين والخواص (٧٤). ويتحرك بغض الوشاة وحسدهم ليوقعوا بهذا (المعلم) الذي طالما ساءهم علمه وأدبه وعلو مقامه. ولمّا لم يكن سبيل للقدح بمثل هذا الرجل، لجأ هؤلاء الحاقدون إلى إخبار الخليفة بذنبه الوحيد، وهو حبّ أهل البيت (عليهم السلام) ومتابعته لآل الرسول الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا !! وقام بعضهم بتحذير المتوكل من هذا (المعلم الفاضل) حتى إن أحدهم أرسل إليه هذه الأبيات مدّعياً حرصه على ولد المتوكل، يقول :

قل للإمام الذي تَرْجى فواضله إن (المؤيد) مقرون إلى ذيب
وللمؤيد نفس غير خاضعة فاطلب له بدلاً من قرب (يعقوب)
فاقرن ولادة عهود المسلمين بمن ترضى خلائقه واطرد أبا الحوب

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من بغض لابن السكيت وحقد عليه، نجده واضحاً في قوله (إن المؤيد مقرون إلى ذيب)! وقوله (اطرد أبا الحوب) أي اطرده صاحب الذنب والإثم. وما ذنبه إلا أنه تمسك بآل الرسول الذين أمر الله سبحانه بمواالاتهم ومتابعتهم ومودتهم!

يقول الكميت الأسدي شاعر أهل البيت عليهم السلام :

ألم ترني في حبّ آل محمد أروح وأغدو خائفاً أتَرْقُبُ
فطائفة قد كَفَرَتني بحبهم وطائفة قالوا: مسيء ومذنب!

والمصيبة الأدهى أن المتوكل - شأنه شأن سائر من سبقه من الخلفاء - قد عُرِف بشدة بغضه وعداوته لأهل البيت (عليه السلام) وتحامله على العلويين والمواليين لهم والتنكيل بهم. وقد حفظ له التاريخ سعيه لإخفاء قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وتضييعه ولكن الله ردّ كيده وأخزاه (٧٥) لأنه (قد خاب من افتري) (٧٦) (وقد خاب من حمل ظلماً) (٧٧).

٧٤ - يقول السيد محسن الأمين (رحمه الله) في ابن السكيت: (كان علماً من أعلام الشيعة وعظماهم وثقاتهم ومن خواص الإمامين محمد التقي وعلي النقي (عليهما السلام) وكان حامل لواء الشعر والأدب والنحو واللغة في عصره). راجع: أعيان الشيعة.

٧٥ - إذ إن المتوكل لما هدم القبر وأزاله، حرث الأرض ليزرعها لتكون وسيلة لتضييع قبر الإمام الحسين (عليه السلام). ولكنهم عندما سلطوا الماء على الأرض المحروثة، وقف الماء عند رقعة كبيرة من الأرض (في وسطها قبر الإمام الحسين) فلم يأتها الماء وظلّ يرتفع بقدرة الله تعالى!

وصارت هذه الرقعة التي حارّ الماء عندها (أي رجع الماء عنها) تُعرف بـ (الحائر الحسيني).

وقد تُسبب إلى ابن السكيت هذه الأبيات التي قالها عن بني العباس وسعيهم لهدم قبر سيد الشهداء:

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما

وبسبب بغض المتوكل لآل علي بن أبي طالب وأتباعهم ومحبيهم، فإنه سعى ليعلم حقيقة ابن السكيت وموالاته لأهل البيت. وقد عمد إلى طريقة ملتوية يُخرج بها هذا الموالي المخلص.

فبينما ابن السكيت مع المتوكل في مجلسه إذ جاء (المؤيد) و (المعتز) ولدا المتوكل.

فقال المتوكل : يا يعقوب! أيهما أحبُّ إليك، إبناي هذان أم الحسن والحسين؟

وربما كان المتوكل يتوقع أن ابن السكيت - وإن كان شيعياً - سيضطر - خوفاً أو تملقاً - إلى أن يفضل ولديه ويعظم قدرهما.

ولكن.. قد خاب ظنه حيث فاجأه الموالي الصادق بجوابٍ أذهله، وكسر أنفته وغروره كما أخرج أمه أمام مجلسه وأمام التاريخ. فقد أعلن رضوان الله عليه :

والله.. لشسع نعل قنبر أحب إلي منك ومن ولدك (٧٨).

وهنا تنكشف دناءة نفوس (خلفاء الجور) فقد أمر من حوله من الأتراك بضربه، فداسوا بطنه وحمل من عنده صريعاً (شهيداً) (٧٩).

لقد تنبّه ابن السكيت (رحمه الله) إلى مهمته التاريخية والتي تحتم عليه أن يخيب ظنّ الخليفة الفاجر، ويكشف للأمة والتاريخ وللأجيال جميعاً وجهه الذي اسودّ ببغض من يرضى الله لرضاهم.

لقد أطفأ هذا الموالي المخلص شمعة حياته لتبقى أنوار آل محمد (صلى الله عليه وآله) مزهرة يهتدي بها المهتدون وتعمى بها عيون الذين (يريدون ليطفنوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (٨٠).

هذا لعمر ك قبره مهدوما
في قتله فتتبعوه رميما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثلله
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا

٧٦ - سورة طه: آية ٦١.

٧٧ - سورة طه: آية ١١١.

٧٨ - وفي خبر آخر: (والله، إن شعرة من قنبر خادم علي (عليه السلام) خير منك ومن ولدك). أنظر: ابن السكيت، حبيب الهلالي.

٧٩ - راجع: وفيات الأعيان.

٨٠ - الصف: الآية ٨.

من قاموس الإمام الشيرازي

الوحدة والأمة الواحدة

نبيل سلطان

بين الواقع والطموح، بين ما يكتضّ به الراهن الإسلامي من أزماتٍ وعقد، وما يصبوا إليه المسلمون في العالم من مستقبل تنهض فيه الحضارة الإسلامية رائدةً لمسيرة التاريخ آخذةً بزمام المبادرة.. يقف الفقيه والمفكر والمثقف الإسلامي وقفة المتأمل، الباحث عن مواطن الخلل وبؤر التوتر والفساد التي تعيق عملية النمو في جسد الأمة، وتحول دون تحقيق الوعد الإلهي للمسلمين بأن تكون أمتهم هي القائدة للبشرية، والمتولية لأمر العالم آخر الدهر، كيما يتسنى لنا كمجموعة بشرية تنتمي إلى دين واحد، وتمتلك كل مؤهلات النهوض والتواصل والتقدم الحضاري، وبالتآزر والتعاضد، والعودة إلى دائرة الفعل والعطاء والخروج من حالة الاستهلاك والاقتنيات على مواند الآخرين.

ومن بين ما توجهت إليه الإشارة أصابع المهتمين في الساحة الإسلامية من نقاط ضعف لا يمكن تجاوزها، وثغور حقيقية لا يتهيا الزحف نحو مواقع متقدمة دون سدّها وتغطيتها.. قضية (الوحدة). فما يسود واقع المسلمين في الدول الإسلامية أو خارجها من تشرذم وتفرق على شتى الصعد والمستويات، أمر حري بالالتفات والأخذ بالحسبان من جانب العلماء والمفكرين.

ومع بدايات النهضة العربية، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي أخذت بالظهور بعض الدعوات من هذا الاتجاه أو ذاك، تصدح مناديةً بضرورة (الوحدة) منطلقاً للوقوف بوجه المستعمر الأجنبي، الذي راح يهدد بقوة نفوذه السياسي والعسكري كيان الأمة ووجودها التاريخي والحضاري .

ومن بين هذه الدعوات، كانت الدعوة التي رددتها التيارات الإسلامية النهضوية التي عرفت بالتيارات السلفية، واعتبرت هذه الدعوة أن من أهم المبادئ التي هي خطوات أساسية على طريق التحرر والعودة بالأمة إلى الدولة الإسلامية وحكم الإسلام، هو مبدأ الوحدة.

ولكننا عندما نقوم بعملية مراجعة متأنية لمدى فاعلية هذه الدعوات والمناداة بالوحدة، من قبل تيارات تباينت في رؤاها وما تعتمده من مرجعيات فكرية، ومقدار ما تمّ إنجازه من خطط على صعيد التوحد ونبذ الفرقة في صفوف الأمة، وصولاً إلى واقع التقدم الحضاري، نجد أن الكثير من الأصوات المنادية بالوحدة يكاد يخنقها ما تتأزم به نفوس المنادين بهذه الوحدة من مواقف وردود أفعال تجاه أبناء جلدتهم ممن ينتمون إلى تيارات ومذاهب تخالف في أفكارها ومبادئها ما ينتسب إليه هؤلاء من أحزاب وتيارات.

ولعل ما يفد إلى أمتنا من أفكار - غربية أو شرقية - كان سبباً وراء كل ذلك التنافر والتعاند الذي يشهده واقع الفرقة المأساوي. والذي أدى إلى أن تكون الدعوات إلى الوحدة دعوات غير ذات محتوى حقيقي، وليست سوى تكريس لواقع التفرقة.

ولكن وفي وسط كل هذا الضجيج الذي يحدثه زعيق المنادين زوراً بالوحدة نجد الفقيه الإسلامي يعن النظر

منقباً في تراث هذه الأمة - التي كتب الله لها ولدينها سيادة العالم - عما يمكن اعتماده من أصول وقواعد في عملية التنظير لوحدة واحدة تجمع كل أبناء الإسلام.. ومثالاً لهذا الفقيه يُطالعنا الإمام الشيرازي (دام ظله) في العديد من مؤلفاته وكتبه مُنظراً ومقدماً لأطروحة في الوحدة والأمة الواحدة تعتمد في جذورها على كل ما للوحي المقدس وسيرة النبي المصطفى وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليه) من معطيات روحية وفكرية.

وللفائدة نستعرض فيما يلي مجموعة من كلمات الإمام الشيرازي حول موضوع الوحدة، والأمة الواحدة:

١ - إن عقلية (جمع الكلمة) ثم تطبيقها على ساحة الواقع، من أهم ما يتحلى به القادة الذين يقدمون الأمم إلى الإمام (٨١).

٢ - على الممارسين للتغيير أن يهتموا لإزالة القوميات والإقليميات والوطنيات التي تفرق المسلمين وتبدد شملهم (٨٢).

٣ - من أهم ما يجب أن يحول الممارسون للتغيير دون وقوعه: التفرقة بكل أقسامها وألوانها من إقليمية وعرقية وعنصرية ولغوية ولونية وغيرها، لا باللفظ ووضع القانون فقط بل بجعل التساوي بين الجميع في كل مراحل الحياة حسب ما قرره الإسلام. فقد قال سبحانه (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): الناس سواسية كأسنان المشط، كلهم من آدم وآدم من تراب، لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى. وكان الرسول الأكرم يعامل المسلمين وفق هذه القاعدة، حتى جاء الأمويون وفضلوا العنصر العربي على غير العربي، وجاء بعدهم العباسيون ففضلوا العنصر الإيراني مرة والتركي أخرى والعربي ثالثة، ثم جاء العثمانيون ففضلوا العنصر التركي على غير التركي، ويكفي أن نعلم أن التفرقة تعدّ من السمات البارزة للمجتمع المتخلف (٨٣).

٤ - إن التفرقة أساس كل تأخر، ونشوب أغلب النزاعات الدامية (٨٤).

٥ - الوحدة الإسلامية - كشعار وكبديل لعواطف غير نابعة من القلب - شيء سهل، أما إلباسها لباس الواقع المباشر فهو بحاجة إلى طرح متكامل، يلف الأمة والدولة من ناحية، ومختلف الاتجاهات التقليدية، والمراجع والعلماء من ناحية ثانية (٨٥).

٦ - إن من اللازم إزالة آثار التفرقة الموجودة في بلاد الإسلام. فاختلاف المقادير واختلاف النقود، واختلاف التواريخ، مما يوجب تفرقة الأمة الإسلامية (٨٦).

٧ - من أهم ما يلزم على السالكين سبيل النجاة الحفاظ على الوحدة الإسلامية، أما بالقول فهو سهل يسير،

٨١ - كراس (لنبداً من جديد) الإمام الشيرازي، ص ٧٣.

٨٢ - كتاب ممارسة التغيير لإتقاذ المسلمين، ص ١٦٣.

٨٣ - ممارسة التغيير لإتقاذ المسلمين، ص ٩٦ - ٩٧.

٨٤ - المصدر نفسه، ص ٩٧.

٨٥ - موسوعة الفقه، ج ١٠١، ص ٦٩.

٨٦ - ممارسة التغيير لإتقاذ المسلمين، ص ٩٩.

وأما بالعمل فهو صعب عسير (٨٧).

٨ - الوحدة لا تعني أن ترفع جماعة يدها عن معتقداتها، أو لا تستعد للدفاع عنها بل معناها أن يكون المسلمون صفاً واحداً أمام الشرق والغرب وتطبيق المتفق عليه في الإسلام (٨٨).

٩ - يرى الإمام الشيرازي (دام ظله) أن من الضروري (جمع النشاطات الإسلامية في وحدة واحدة بأن يكون الكل تياراً واحداً، لا هذا يقول: أنا خير من غيري، وغيره يقول فلان كذا وكذا، فإن مثل هذا الإسلام المتحارب والأثافي، لا يمكن أن يؤدي إلا إلى مزيد من التأخر. قال سبحانه: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) (٨٩).

١٠ - ومن الواضح أن الاتحاد قوة وأن التشتت ضعف، وقد نهى الله عما يسبب ضعف المسلمين بقوله سبحانه: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم). ومن المعلوم أنه قد حصل تنازع غريب بين بلاد الإسلام على إثر هذه الحدود الجغرافية المبتدعة، مما أنتج ضعف المسلمين، وذهاب شوكتهم وسيادتهم (٩٠).

١١ - أما نحن المسلمين وبالرغم من القواسم المشتركة الكثيرة بيننا - حيث الديانة الواحدة والثقافة الواحدة والحدود الجغرافية الواحدة وأحياناً اللغة الواحدة - أصبحنا اليوم نرفض الاتحاد ونميل إلى التجزئة، وذلك بعد أن كنا أمة واحدة، وكانت أراضينا الإسلامية موحدة. (٩١).

١٢ - وكل إنسان يطمح إلى توسيع دائرة تحركه وانطلاقه بلا قيد أو شرط. والإسلام وحده الذي وفر ذلك الطموح للمجتمع بأقصى حدّ عقلائي، حيث جعل المسلمين كلهم أخوة متحابين، وجعل بلادهم كلها بلداً واحداً، فقال عز من قائل: (إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم..) (٩٢).

١٣ - ومن ضمن توصياته للجهات المعنية بأمور الشباب وتوجيههم وبناء المعاني الخيرة في نفوسهم، يقول الإمام الشيرازي (دام ظله): (ومن الضروري على القيادة الشبابية زرع المعاني الخيرة في نفوس الشباب، فإن الإنسان ينمو جسماً وروحاً كما ينمو النبات. قال سبحانه: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً).. فمثلاً يجب زرع الآيات الثلاثة: الحرية، والأمة الواحدة، والأخوة في نفوسهم) (٩٣).

١٤ - إقامة الحكومة الإسلامية الواحدة هو الحكم الذي كان يرفرف على أذهان جماهير الأمة الإسلامية على مر التاريخ، وهو الهدف السامي العظيم الذي أريق على مذبحه دماء ملايين الشهداء في البلاد الإسلامية وغيرها، وإقامة الحكومة الإسلامية الواحدة هو الشبح الذي أرقّ ليل الجبابرة، وجعلهم يحبذون كل طاقاتهم للحؤول بين المسلمين وبين هذا الهدف (٩٤).

٨٧ - طريق النجاة ص ١٤٤.

٨٨ - المصدر نفسه، ص ١٤٥.

٨٩ - كتاب الإدارة ج ١ ص ٢٧٩.

٩٠ - كراس المتخلفون مليار مسلم ص ٣٢.

٩١ - لماذا تأخر المسلمون ص ٣٦.

٩٢ - المصدر نفسه ص ٣٥.

٩٣ - الشباب ص ٧٤.

٩٤ - السبيل إلى إنهاء المسلمين ص ١١.

١٥ - أما نحن فنريد توحيد البلاد الإسلامية تحت ظل القوانين الإلهية حتى تكون بلداً واحداً. فيسير المسلم من طنجة إلى جاكرتا، ومن دكا إلى طرابلس، وهكذا، ويشعر بأنه في بلده، ولا ترفع أمامه في كل بلد حدود استعمارية وقوانين جاهلية وضعية(٩٥).

١٦ - يجب أن تكون البلاد الإسلامية موحدة، والوحدة الإسلامية لا تحقق في الواقع الخارجي إلا بعد شعور وحدوي في أعماق نفوس المسلمين. فالأمة واحدة والرب واحد والكتاب واحد والنبي واحد والشرعية الإسلامية قائمة على الكتاب والسنة، وعلينا أن نتبعها حق اتباع. وليس الإسلام منحصرًا في الصلاة والصيام وتعمير المساجد وما أشبه فقط، بل هذه أجزاء من الإسلام، وهناك أجزاء أخرى منها توحيد البلاد الإسلامية تحت لواء واحد(٩٦).

١٧ - ومن أول الأهداف التي يراها الإمام الشيرازي (دام ظله) للدولة الإسلامية العالمية هو (إرجاع الأمة الواحدة، حيث إن المسلمين أمة واحدة، كما قال سبحانه: (وإن هذه أمتكم أمة واحدة) وقد جعل الرسول (صلى الله عليه وآله) الأمة واحدة من أول يوم أسس الدولة الإسلامية)(٩٧).

١٨ - ثم إن الدولة الإسلامية يلزم أن تكون لها وحدة سياسية تضم كل أقطار بلاد الإسلام تحت حكومة مركزية واحدة. وإذا لم يمكن جمع الأقطار في وحدة شاملة، كان من الممكن جعلها في حكومات وولايات لها انتخابات حرة لرؤسائها، وإن كانت كلها خاضعة لحكومة مركزية واحدة تجمع شملها وتوحد صفوفها، كما أن اللازم أن تكون الخارجية والجيش والمال فيها واحداً، فتكون كلها مشمولة لوحدة اقتصادية كما هو الحال في بلدان قطر واحد، لا أن يغوص قطر في النعيم بينما لا يجد البلد الآخر لقمة العيش. (٩٨).

٩٥ - المصدر نفسه ص ١٢.

٩٦ - المصدر نفسه ص ١٢.

٩٧ - موسوعة الفقه ج ١٠١ ص ٩.

٩٨ - المصدر نفسه ج ١٠٥، ص ٩٤.

مقالات

الحرية في العالم الإسلامي المعاصر

عبد الله الفريجي

يمتاز السعي لوضع أطر ومحددات لمفهوم الحرية بصعوبة بالغة، ذلك أنه مفهوم يتصف بالشمولية والاتساع إلى جانب الغموض الذي يوجد شبه إجماع على اتصافه به. وعلى صعيد التاريخ البعيد استخدم مصطلح الحرية للدلالة على الحالة المقابلة للعبودية، بينما استخدم في العصور الوسطى كمطلب للثورات التي اندلعت في أوروبا وانتهت بقيام الأنظمة الجمهورية، واستخدم في الثورة الأمريكية للدلالة على الرغبة في التخلص من الاستعمار البريطاني، وفي سنة ١٨٦٣ عندما أصدر (لنكولن) إعلان تحرير العبيد كانت الحرية تعني إنهاء العبودية والرق (٩٩).

قال (إبراهيم لنكولن): (إن العالم لم يصل أبداً إلى تعريف طيب للفظ الحرية. فنحن إذا كنا نستخدم نفس الكلمة فإننا لا نقصد ذات المعنى) (١٠٠). ولربما استخدمت أحياناً بمعنى الاختيار في مقابل الجبر، كما أن ارتباطها بالقانون وبفكرة العدالة جعل من تحديد المفهوم غاية في الصعوبة. ورغم كثرة التعاريف الموضوعة لهذا المفهوم فإنه ظل يمتاز بالغموض وعلى هذا فإن (مفهوم الحرية مفهوم اشكالي يتجدد في كل لحظة) (١٠١). ولكننا نستطيع أن نطلّ على المعنى المتبادر منه إلى الذهن بصورة إجمالية وهي: وجود حدود وأطر خاصة بالفرد أو الفئات الاجتماعية بإمكانهما الحركة ضمنها بدون تدخل السلطة أو الأفراد الآخرين، لذا لا بد من أن تكون هذه الحدود معروفة، وبعبارة أخرى لا بد من بيان هذه الحدود ضمن القانون.

التعريف

لا يمكن الحديث عن الحرية بدون الحديث عن القانون، لأن أصل فكرة الحرية يرتبط بمنع التعسف الذي يمارس في ظل المجتمعات المحكومة بسلطات غير دستورية حيث تخضع لإرادة فردٍ أو طبقة تحتكر المصالح وتحرم بقية فئات وأفراد المجتمع منها. ولهذا برزت فكرة تقييد السلطة بدستور وقانون حفاظاً على حقوق ومصالح المجتمع من احتكار وتعسف

-
- ٩٩ - حقوق الإنسان بين الممارسة والتطبيق - د. سيدي محمد ولد سيدي - آب - مجلة المعرفة - العدد ١٧ - ٤١٧ - ١٩٩٨ سوريا دمشق ص ١٣.
١٠٠ - نفس المصدر ص ١٢.
١٠١ - مفهوم الحرية عند (كأنت) بين العقل والوهم - د. محمد علي جمعة - ص ١٣ العدد ٣٩٣ - ١٩٩٦ - ١٩٩٦ دمشق سوريا.

السلطات. ومن هنا جاءت أغلب تعاريف الحرية مبينة لمدلولها من خلال العلاقة بالقانون، فقد عرّفها جون لوك بأنها (الحق في فعل أي شيء تسمح به القوانين) وعرّفها منتسكيو بأنها (الحق فيما يسمح به القانون) ويعرفها جان جاك روسو بأنها (طاعة الإدارة العامة) ويعرفها الدكتور طعمة الجرف بأنها (تأكيد كيان الفرد تجاه سلطة الجماعة)(١٠٢).

الحرية والقانون

ويلوح من هذه التعاريف أن الخضوع للقانون بصورة عملية هو الحرية، غير أنه في نفس الوقت يعني التنازل عنها. لكن ذلك يصبح مفهوماً حين نعلم بأن القانون هو الذي يعطي الحرية شكلها وحدودها وبدونه فإنها تسمى مجرد فوضى.

فالخضوع للقانون قبله جان جاك روسو وأكدّه كانت (الذي رأى أن الإنسان حين يطيع القوانين الصادرة عن ذاته فإنه يمتلك حريته بشكل أكبر، مع اختلاف أساسي بين كل منهما فيما يقيم عليه نظريته، ففي حين ينطلق كانت من العقل ليعود إليه، نجد أن روسو ينطلق من الطبيعة والعاطفة ليعود إليهما أيضاً)(١٠٣). ويعبر عن الحرية - عادةً - بجملة الحقوق الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تمنح الفرد - وفق الصيغ القانونية - الحق في ممارستها رغم أن هذه الحقوق ومهما بدت كبيرة فإنها تصبح قابلة لإعادة النظر فيها إذا ما ثرنت من زاوية العدالة، لأنها ستبدو غير محققة للعدالة(١٠٤).

ذلك أن أصل المطالبة بالحرية يعني المطالبة بتحقيق العدالة الاجتماعية ومنع احتكار الحقوق والمصالح من قبل طبقة معينة أو أفراد معدودين. وعلى هذا، فهل يجوز لنا السعي لتحقيق العدالة وبغض النظر عن المناداة بالحرية لأنها تتحقق ضمناً وبمجرد منح الحقوق لكل أفراد المجتمع؟!

الحرية في الإسلام

إذا كانت الحرية - بصورة إجمالية - هي رفض لأي سلطة فئوية أو فردية تبجح استغلال الإنسان أو قهره على اتخاذ مواقف لا يرغب باتخاذها، فإن الإسلام يعتبر من أهم من نادى بالحرية، لأن أصل الدعوة الإسلامية كانت عبارة عن المطالبة بتحرير الإنسان من جميع أنواع التسلط والعبوديات ونقله إلى عبودية الله، وهي عبودية معنوية تعني الخضوع للقانون الإسلامي الذي يحدد تصرفات الإنسان سواء أكان فرداً أم فئة في إطار خاص، بإمكانه أن يمارس حريته ضمنه ويعطيه حقوقاً، حدّها الله الذي هو النموذج الأسمى للعدالة والرحمة. ومعنى هذا أن الإسلام يرفض خضوع الإنسان لأي نوع من أنواع الإكراه، ويمنح الإنسان كامل الحرية على كل شؤونته وعلى مصيره. وهذا هو صلب الدعوات المعاصرة للحرية، ولعل التفاوت الرئيسي بين الإسلام والدعوات الأخرى للحرية في طريقة صياغة القوانين ومصدر السلطات. فالإنسان في الأنظمة الغربية مشرّع

١٠٢ - مصدر سابق ص ١٣.

١٠٣ - مصدر سابق ص ١٣.

١٠٤ - مصدر سابق ص ١٦.

للأحكام، وفي النظام الإسلامي مستتب لأحكام ومبين لها. وفي كليهما يقف القانون ليضع الحدود ويبين الممنوع والمسموح.

ولسنا في صدد المفاضلة بل بصدد بيان التشابه. ومن هذا المنطلق فإن الإسلام نادى بالحرية والمساواة والعدالة وهي نفس أهداف الثورات في العالم رغم اختلاف الأشكال، فالثورة الأمريكية كانت رفضاً لتسلط أمة على أمة، والثورة الفرنسية كانت رفضاً لتسلط طبقة على طبقة، وبالتالي جميعها تسعى لمنح الإنسان مزيداً من التسلط على نفسه وعلى مصيره.

وهناك فرق آخر يلوح في طريقة التفويض، فسواء أكان المشرع هو الإنسان أم هو الله، فإن من المستحيل أن يكون جميع أبناء المجتمع (مشرعين). ولابد في هذه الحالة من وجود طبقة تؤدي عملية التشريع أو الاستنباط، تضم هذه الطبقة ذوي المؤهلات الخاصة الذين يفوضهم المجتمع بممارسة المهمة بالنيابة عنه. ولهذا فإن العلماء المسلمين سيكونون الجهاز التشريعي أو التنفيذي الذي يُشرف على تحديد الحريات أو تنفيذ القوانين. وانطلاقاً من هذه الخصائص نرى أن العلماء المسلمين لم يجدوا بأساً باستعارة بعض الأشكال العصرية للتطبيق العملي وتدعيم حقوق الإنسان.

الحرية مطلب اجتماعي

ومن هنا نلاحظ اتساع دائرة المطالبة بالحريات لدى العلماء المسلمين في مقابل محاولات الهيمنة والتسلط التي تمارس من قبل الحكومات المعاصرة، والذين يبرز من بينهم الإمام السيد محمد الشيرازي (دام ظله) حيث يركز في أطروحاته على استنباط الحريات من منطلق شرعي إسلامي بالإفادة من عمومات الشريعة ومن أحكام الحقوق الخاصة والمحددة التي قدمتها الشريعة للمسلمين.

ولهذا فإن الإمام الشيرازي لا يرى أن الحرية هي مجرد دعوة للحصول على بعض الحقوق والحريات بل هي حركة تكاملية تمثل ثورة مزدوجة على التجاوزات في إطارها الدولي وفي إطارها الاجتماعي. فهناك أنظمة ترفض فكرة الحرية من أصلها، وهناك أنظمة أخرى تؤمن بها في الظاهر وتحاربها في الباطن، وهناك أنظمة تمنحها للجماهير ولكنها تسلبها منها بوسائل وطرق ملتوية، وهناك أنظمة تحاول تطبيق أنظمة الحرية ولكنها قاصرة بحكم بنيتها.

وفي مواجهة هذه الأنواع فإن الإمام الشيرازي (دام ظله) يرى ضرورة تطبيق أنظمة الحريات ولكن من خلال حل جذري يعالج القضية في الإطار الدولي والإطار الداخلي والاجتماعي. ولهذا فإنه بدءاً لا يرى أن الإنسان يبلغ مداه ما لم تتوفر لديه الحرية، فيقول: (زود الله الإنسان بآلات وملكات... وجعل لكل ملكة من ملكاته حدوداً معينة لا يتعداها إلا النادر، ويبلغ الإنسان إليها إذا توفرت لديه الحريات الكافية، وساعده المجتمع والخط)(١٠٥).

الحرية وشورى الفقهاء

وعلى هذا الأساس فإن المطالبة بالحرية ستكون قضية محورية (فمن اللازم إطلاق الحريات)(١٠٦) لكن هذه الحريات لا تتوفر إلا بشرطين هما: (أولاً) توفير جهة الإشراف الصحيح وهي متمثلة بشورى الفقهاء المراجع (١٠٧) و(ثانياً) توفر الجماهير الواعية المرتبطة بالأحزاب السياسية التي يفودها الفقهاء المراجع. وهنا يقترح الإمام الشيرازي (دام ظله) نظاماً اجتماعياً معاصراً يجمع بين الشكل الموروث والشرعي للحقوق والحريات، وبين الصورة المعاصرة لها. وهو ليس حالة إصلاح داخلية بل سيقود ذلك بالنتيجة إلى القضاء على حالة الاسترقاق العالمي التي ينن منها عالمنا المعاصر والمتمثلة بشبكة القوانين والانظمة التي تضعها قوى التسلط العالمية والتي بواسطتها تقوم بممارسة القهر والتسلط. ولهذا فإن الإمام الشيرازي (دام ظله) لا يرى أن جميع القوانين محترمة بل هناك قوانين خاصة محدودة هي التي تكون جديرة بالاحترام وواجبة التطبيق، وهي تلك القوانين التي توفر الحرية في إطار العدالة الإسلامية، وهي التي تظهر إلى المجتمع من خلال الصيغة الشرعية الوحيدة وهي صيغة شورى الفقهاء المراجع التي تمثل المجتمع وإرادته في نفس الوقت الذي تمثل فيه الشرع والدين. ولهذا يقول: (الواجب على المسلمين خرق كافة القوانين الكابتة التي وضعها المرتبطون بالمستعمرين).

وليست الحرية مجرد دعوة بل هي إقرار لنظام خاص يتم من خلال القضاء على كل النواذ التي يتسرب منها القهر والتسلط بصورة غير معلنة عندما تحل طبقة معينة محل طبقة أخرى وتخلفها في تحقيق المصالح الذاتية، لكن ذلك لن يحصل ما لم يتم تمثيل جميع طبقات المجتمع من خلال النظام المقترح.

١٠٦ - نفس المصدر ص ١٣.

١٠٧ - راجع نفس المصدر ص ١٣.

مقالات

المنهج الإسلامي والمرونة في التطبيق

حيدر البصري

يواجه الدين الإسلامي حملات وغزوات شعواء على مختلف الأصعدة، فعلى أية جبهة فكرية يجب عليه أن يحارب؟ وأي سهام حقد عليه أن يرد أولاً؟ فقد تكالب عليه أعداؤه من الخارج مصوبين سهامهم نحوه بصورة مباشرة تارة، وباعتلائهم أكتاف أولئك الذين تأثروا بحضارة أعداء الإسلام من أبنائه تارة أخرى، فكانوا بذلك ببغاوات تردد ما تسمع ليس إلا.

ولم يغادر المتحاملون على الإسلام مبدأ ن مبادئه دون أن يحاولوا النيل منه بشتى السبل التي يمكنهم استغلالها في الوصول إلى هدفهم هذا، حتى صار من يروم الدفاع عن هذا الدين المستهدف - من خلال الرد على هؤلاء - متحيراً في اختياره أياً من تلك التهم الباطلة ليفندها ويبطل أدلتها.

لكنني ومنذ زمن أفكر في أمر أجده - حسب قناعاتي ولربما كان لتخصصي في مجال القانون دخل في توفر هذه القناعة - على درجة من الأهمية، حيث نجد أثره في السعي المتواصل من قبل دولنا الإسلامية للانتجاع للنظم الغربية للاستفادة منها في المجال الذي أروم الحديث عنه، مخلفين أعظم نظام عرفته البشرية وراء ظهورهم، كل ذلك بتأثير الحملات التي يشنها المبطلون على الدين الإسلامي.

إن موضوع التهمة الباطلة التي ارتأيت الرد على أصحابها هو اتهام الدين الإسلامي بأنه دين فقد صلاحيته للتطبيق في عصرنا الحالي، فهو فقط يصلح للتطبيق في العصر الذي ظهر فيه، أما الآن - مع تطور البشرية وتعدد العلاقات الاجتماعية ونشوء ما لم يكن في عصر ولادة الشريعة الإسلامية من المستجدات - لم تعد للدين الإسلامي القابلية والأهلية التي تمكنه من تقديم الحلول لجميع ما جد يستجد، وذلك لخلوه من الأحكام اللازمة لمثل هذه الأمور.

إن هذا الادعاء لم يكن قد اقتصر في مجال انتشاره على أصحاب الادعاء فقط ولو كان الأمر كذلك لكان، ولكن أثره امتد ليشمل من تأثر بالحضارة الغربية وانبهر بها، وقادها تقليداً أعمى بحيث صار ما يصدر عن أصحاب تلك الحضارة يؤخذ كالمسلّمات.

لقد صارت بلداننا تستورد قواعدها القانونية التي تحكم علاقات أبناء شعوبنا - فيما بينهم وبين حكوماتهم - من الدول الغربية التي لم تكد تستقر على قانون معين حقبة من السنين حتى تهرع إلى تغييره لاستنفاد أثره وصلاحيته لمستجدات العلاقات الإنسانية، وذلك لأنه وليد فكر بشري لم تكن نظراته تتجاوز عصره الذي يعيش فيه.

وصارت دولنا تفتخر باستناد قوانينها إلى القانون الفرنسي، أو الإنكليزي... أو غيره، في حين وضعت الكتب الإسلامية على الرفوف وأركنت جانباً اللهم إلا فيما يخص قوانين الأحوال الشخصية التي لازالت - بمقتضى استنادها إلى الشريعة الإسلامية - تعيش حالة من الاستقرار، في حين تغيرت الكثير من القوانين الأخرى -

كالقانون المدني وقانون العقوبات - مرات عديدة، وذلك على أثر التغير الذي يحصل في القوانين التي اقتبست من تلك الدول في فترة من الزمن، ولكن - ومع ذلك - لا نجد في دولنا من يلتفت إلى هذه المفارقة الهامة أو يعيرها قدرًا من الأهمية، ولربما كان عدم الالتفات مقصوداً في أغلب الأحيان.

مستند زعمهم

قبل الخوض في مسألة الدليل الذي استند إليه هؤلاء في مزاعمهم هذه، لابد من الإشارة إلى أنهم ينطلقون في رمي هذه التهمة على الدين الإسلامي من منطلق مادي بحث بعيد غاية البعد عن كل ما يمت إلى (ما وراء المادة) بصلة، ولذا كان من الطبيعي أن يصدرُوا حكماً كهذا إذا علمنا بأن الفكر البشري إنما يمكنه الإحاطة بمتطلبات عصره فقط، وليس بمقدوره أن يتجاوز بفكره حاجات العصر الذي يعيش فيه.

بناءً على ما تقدم نقول إن الدليل الذي استند إليه هؤلاء والقاضي بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية للتطبيق في عصرنا، هو القاعدة القانونية التي تقول: (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان). إن هذا الدليل يعدّ من موارد الاتفاق التي لا تختلف فيها مع هؤلاء، بل لا يختلف عليها اثنان، ولكن ما يجب أن توجه الأنظار إليه هو أن هذه القاعدة هي قاعدة بشرية، من وضع البشر، ومورد تطبيقها إنما هو القوانين الوضعية التي يقتصر نظرهم فيها على متطلبات عصرهم فلا يتعدونها إلى المستقبل لعدم علمهم بالغيب.

أما القوانين التي وضعت من قبل من يعلم ما كان وما يكون إلى أن تفنى هذه الدنيا، القوانين التي وضعها للناس خالقهم الذي يعلم ما تؤول إليه مصائرهم، وما يحتاجون إليه إلى قيام الساعة.. فلا يمكن القول بعدم صلاحيتها للتطبيق إلا في العصر الذي وجدت فيه. وذلك ممكن لو كان نظر واضعها لا يتعدى عصره، ولكن الله تعالى - مصدر الشريعة الإسلامية - يعلم الغيب وما يكون وما يجدّ من حوادث، فهو إذن ليس بحاجة إلى أن يغيّر القوانين التي يصدرها كل فترة من الزمن وذلك أن هذه الحاجة إلى التغيير من سمات عمل البشر.

شبهة وردّها

لقد اعترض البعض على إمكانية مواكبة الأحكام الإسلامية لجميع متطلبات العصر، في الوقت الذي لم يرد بين أحكام الشريعة الإسلامية ذكر لما استجد على العلاقات الإنسانية بكافة مشاربها. فلم يرد - على سبيل المثال - ذكر لأحكام البنوك وحالاتها، ولم يرد ذكر لكيفية إجراء المعاملات من خلال جهاز الهاتف وغيرها من الوسائل الكثيرة، إضافة إلى تطورات كبيرة ومستمرة في مجالات الحياة المختلفة لم نقرأ ولم نر لها أثراً في الأخبار والروايات التي نقلت إلينا أحكام الشريعة؟

وفي الجواب نقول: صحيح أن الأخبار التي نقلت إلينا أحكام الشريعة - ومنها القرآن الكريم الذي يعدّ المصدر الأول للشريعة الإسلامية - لم يرد فيها ذكر الهاتف، والطائرة، والسيارة، وغيرها. إلا أن عدم ذكر هذه الأمور للمسلمين آنذاك إنما كان لعدم إمكانية تقبل العقل البشري في تلك الحقبة لفكرة طيران آلة في الجو تحمل خمسمئة مسافر مثلاً، إن هذا صعب القبول في مجتمع لم يتعد نظره البعير والحصان، هذا أولاً، وثانياً إن عدم تناول الدين الإسلامي للأمور السابقة الذكر لا يعني عدم وجود حكم لما يرتبط بها من الأمور والقضايا في الدين الإسلامي.

ويجب أن يعلم هؤلاء بأن الدين الإسلامي قد اعتمد نهجاً في التشريع يمكنه من معالجة المستجدات، وهذا النهج يتمثل في تشريع قواعد عامة تتصف بالثبات ولا يمكن أن تتغير على مر العصور ويمكن أن نطلق على هذه القواعد بـ (الثوابت). فهذه القواعد لم تخصص للتطبيق على واقعة معينة، وإنما يمكن تطبيق هذه القاعدة على كل ما يقع في نطاقها من الجزئيات والوقائع سواء أكان موجوداً في زمن التشريع، أم سيوجد بعد ذلك. وهذه هي الميزة التي تميزت بها الشريعة الإسلامية عن الأنظمة الوضعية في تقديمها الحكم المناسب لكل حالة مستجدة من خلال هذه القواعد العامة. ولتوضيح الفكرة نسوق مثلاً: هناك قاعدة إسلامية حصلنا عليها من القرآن الكريم تقول : (أوفوا بالعقود). والمعروف أنه في زمن التشريع الإسلامي لم تكن العقود تُجرى إلا بطريق المشافهة. فالآن ومع التطور العلمي واكتشاف جهاز الهاتف - أو غيره - بحيث صارت العقود تجرى بين شخص في شرق الأرض وآخر في غربها، فهل يمكن القول بعدم وجوب الوفاء بالعقد وذلك لعدم ذكر العقود التي تجرى عن طريق الهاتف في الشريعة الإسلامية؟

الجواب منفي قطعاً. فالعقد عبر الهاتف عقد يدخل في نطاق العقود التي تشملها القاعدة العامة التي تقول (أوفوا بالعقود) وعليه يجب الوفاء به امتثالاً للقاعدة.

وهكذا الأمر في بقية المستجدات، فكل منها يخضع في حكمه للقاعدة العامة (الثابتة) التي يقع ضمن دائرة شمولها.

الشمول الموضوعي

جميع ما تقدم ذكره قد تناول جانب الاستيعاب الزماني لأحكام الشريعة الإسلامية، وشمولها لما يستجد من الأمور الحادثة بتقدم الزمان. ولكن هناك شيء آخر كانت يد النقد قد امتدت إليه كذلك، حيث قالوا إن الشريعة الإسلامية لم تكن قد تناولت جميع جوانب الحياة بالتنظيم، فإذا صلحت الشريعة الإسلامية للتطبيق على بعض جوانب الحياة، فهي لا تصلح لأن تحكم جوانب الحياة الأخرى، وذلك لخلوها من الأحكام الخاصة بتلك الجوانب. وصرّح البعض بأن الدين الإسلامي دين عبادة، وتصوف، وزهد، فأحكامه لا تتجاوز الجانب العبادي، أما الجهات الأخرى للحياة فإن الدين الإسلامي لم يكن قد تناول ذلك من قريب أو بعيد. وبناءً عليه إذا كان الإسلام يخلو من وجود نظرية سياسية - على سبيل المثال - كيف يمكنه أن يقود مجتمعا؟

في الحقيقة هناك ثلاثة ردود لهذه الشبهة، نبينها من خلال النقاط التالية:

- (١) تاريخ الدولة الإسلامية التي أقامها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم).
- (٢) مصادر التشريع الإسلامي الرئيسية، أعني القرآن الكريم والسنة الشريفة خاصة.
- (٣) آثار علماء المسلمين الذين اهتموا بمختلف جوانب الحياة. فلنخض فيها باختصار:

(١) تاريخ الدولة الإسلامية بقيادة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

ينقل لنا التاريخ الكثير من القصص المستفيضة والأخبار التي لا تقبل الشك، عن قيام رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بتأسيس دولة إسلامية مقرها يثرب استطاعت - خلال أكثر من عقد من الزمن - الوقوف بوجه أكبر القوى الخارجية التي كانت تريد النيل منها، كما أنها دولة كانت من التنظيم - على مستوى السياسيين

الداخلية والخارجية - بمكان بحيث لم تكن تجد فيها غير مجتمع متجانس يذوب في بوتقة الإسلام، ويتفانى في الدفاع عن الدولة الإسلامية، بحيث انعدمت في تلك الدولة مظاهر الطبقية، والعنصرية، وغيرها مما تعاني منها الدول الأخرى، على الرغم من احتواء الدولة الإسلامية الكثير من القوميات. كما كانت الدولة تقوم على أساس نظام اقتصادي متميز بعيد عن الاستغلال، والظلم... وغيرهما، كل ذلك كان تحت قيادة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم).

نقول: كيف يمكن لدولة وقفت بوجه الشرق والغرب، ووفرت الأمن والاستقرار لأبنائها، علاوة على التنظيم في المجالات الاجتماعية، والاقتصادية... أن ثنعت بكونها خالية من النظريات الخاصة بها في المجالات المذكورة، وإلا فعلى أي أساس كانت تقوم؟

(٢) مصادر التشريع الرئيسية (وبالخصوص القرآن الكريم والسنة)

لو تصقحنا دستور المسلمين (القرآن) وهو الدستور الذي وضعه الله سبحانه منهجاً للسير على ضوء ما فيه في كافة مجالات الحياة، ولم يكن كتاب عبادة فقط كما يدعي البعض.. لوجدنا الأسس والمبادئ التي يجب أن يكون عليها - من يدعو إلى حكم الله في الأرض فيطالعنا في قوله تعالى: (ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة)(١٠٨).

هذا في الفترة التي كان فيها رسول الله (ص) يدعو إلى إقامة حكم الله في الأرض. وحين قامت الدولة الإسلامية يطرح القرآن الكريم لنا المبادئ التي يجب أن يسير القائد على ضونها: (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)(١٠٩). وهذه نظرية الإسلام في السياسة.

ثم نلاحظ من الآيات القرآنية ما يدعو إلى العمل على أساس العدل والنزاهة في مجال التجارة، يقول تعالى: (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان)(١١٠).

وهذه هي النظرية الإسلامية في مجال التجارة. ثم نجد المبادئ التي تقوم عليها نظرية الإسلام الاقتصادية في قوله تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً)(١١١).

هذه بعض الجوانب التي تناولها القرآن الكريم أشرنا إليها باختصار، وإلا فالقرآن الكريم لم يهمل جانباً من جوانب الحياة ومجالاتها المختلفة إلا وأشار لنظرية الإسلام فيه.

أما السنة الشريفة

القرآن الكريم تناول جوانب الحياة المختلفة بصورة مجملة، وعلى شكل قواعد عامة، لكن السنة الشريفة - بمقتضى كونها مبنية للقرآن الكريم - قد تناولت تلك الجوانب بالتفصيل والشرح، وكتب الأخبار مليئة بذلك مما

١٠٨ - النحل: الآية ١٢٥.

١٠٩ - آل عمران: الآية ١٥٩.

١١٠ - الرحمن: الآية ٩.

١١١ - الإسراء: الآية ٢٩.

لايسع المجال لذكره، ومن أراد الإطلاع فليراجع مصادر الحديث.

(٣) آثار العلماء والمفكرين المسلمين

لم يأل أي من علماء المسلمين جهداً في أن يبرز معالم هذا الدين الإسلامي الحنيف، ولكن كل بمقدار ما وفق لتقديره. ومن أولئك سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) حيث أوقف نفسه ومنذ شبابه على إبراز معالم النظريات الإسلامية كل في باب، ابتداءً من الفقه والأصول - اللذين يعدان من صميم اختصاصه - ومروراً بالاقتصاد، فالسياسة، فالاجتماع، فالفلسفة، فعلم النفس، وتعريجاً حتى على القوانين الخاصة من قبيل قانون المرور. فمن يتوقع أن الدين الإسلامي لم يترك حتى مسائل المرور، دون أن يقدم لها أحكامها الخاصة بها؟ ثم نظرية الإعلام الإسلامية، فالأسرة، فالشباب، فالمرأة، فالأدب، فالتحوي، فقانون البيئة في الإسلام... إلى غير ذلك.

لقد كانت آثار الإمام الشيرازي مستفعاة من صميم الشريعة الإسلامية، ولو لم تكن الشريعة الإسلامية قد أعطت لكل أمر من أمور البشر حكماً، لم يتمكن العلماء من طرح هذه النظريات المختلفة في مجالات الحياة كافة.

بعد كل هذا هل يبقى مجال للكلام في عدم صلاحية الدين الإسلامي للتطبيق في عصرنا؟!!

مراقد اسلامية

مشهد الإمام الحسين في حلب

حيدر الجراح

يرجع الباحثون وجود الشيعة في حلب إلى فترات زمنية مختلفة، يمكن ذكرها كالآتي:

١ - زمن أبي ذر الغفاري، كما صرح بذلك الكاتب كرد علي في كتابه خطط الشام نقلاً عن الحر العاملي، حيث قال:

(إنّ أبا ذر لما أخرج إلى الشام تشييع فيها جماعة، ثم أخرجها معاوية إلى القرى، فوقع في جبل عامل فتشيّعوا من ذلك اليوم).

٢ - ما ذكرته بعض المصادر التاريخية من أن مدينة حلب قد شهدت في سنة إحدى وستين للهجرة رأس الحسين (عليه السلام) ورؤوس أهل بيته وأصحابه على الرماح.. وأسقطت إحدى نساء الحسين سقطاً سمي بالمحسن، ووُضع رأس الحسين (عليه السلام) على صخرة لا تزال إلى اليوم آثار دماء الرأس المقدس بادية عليها، مما خلقت هذه الحادثة ردود فعل قوية في نفوس بعض أهالي حلب، وكانت عاملاً على تجدد الولاء لآل البيت.

٣ - في القرن الثاني للهجرة، حيث كان جماعة من شيعة العراق يترددون إلى حلب، حتى غلب على بعضهم نسبة الحلبي.

٤ - في أوائل القرن الثالث الهجري، إذ هاجر جماعة من شيعة العراق إلى حلب، منهم موسى بن عيسى الذي جاء ذكره في تاريخ حلب، وهو من ساكني البصرة في محلة بني عقيل، فكان أول من انتقل منهم عنها.

٥ - أجمع المؤرخون أن الشيعة ظهرت في حلب عندما حكمها سيف الدولة الحمداني.

بناء المشهد

من الثابت تاريخياً - وكما هو معروف ومشهور بين الناس - أنّ سيف الدولة الحمداني أمير حلب هو الذي قام ببناء مشهد الحسين (عليه السلام) ومشهد السقط محسن.

ذكر ذلك العلامة عبد الرحمن الكيالي، بعد أن ذكر أن شمراً (لعنه الله) قتل الحسين (عليه السلام)، وأرسل ابن زياد معه الرأس الشريف بصحبة السبايا إلى الشام، ولما وصلوا إلى حلب وضعوا الرأس على حجر وهم مخيمون في الجبل الواقع غربي حلب والذي يُسمى بالجوشن نسبة إلى القاتل شمّر بن ذي الجوشن، فنزلت منه قطرة دم على الحجر، وقد حفظه أهله إلى أن فتح سيف الدولة حلب وبقيّة بلاد الشام فشيّد بناء المشهد المسمى بمشهد الحسين (عليه السلام) مقاماً له وذكرى للقطرة الغالية التي قطرت على الحجر، ووضع الحجر

فيه(١١٢).

ولقد تعرّض كثير من المؤرخين إلى ذكر بناء مشهد الحسين (عليه السلام) في أثناء حديثهم عن شيعة حلب أو عن الأمير سيف الدولة وعن الاحتفالات التي كانت تقام فيه.
ولعل الشيخ كامل الغزي - صاحب كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب - أكثر المؤرخين دقة وتفصيلاً في تاريخ البناء ووصفه وفي كل ما له علاقة به. ومما قاله:

أما مشهد الحسين، فهو في سفح جبل الجوشن، وعن يحيى بن أبي طي في تاريخه، أن راعياً اسمه عبد الله يسكن في درب المغاربة كان يخرج كل يوم يرعى غنمه، فاتفق أن قام يوماً بعد صلاة الظهر في المكان الذي بُني فيه المشهد، فرأى كأن رجلاً خرج نصفه من شقيف الجبل المطل على المكان ومدّ يده إلى أسفل الوادي وأخذ عنزاً...

فقال له: يا مولاي لأي شيء أخذت العنز وهي ليست لك؟

فقال له: قل لأهل حلب يعمّروا في هذا المكان مشهداً ويسمونه مشهد الحسين.

فقال: إنهم لا يرجعون إلى قلبي.

فقال: قل لهم أن يحضروا هناك. ورمى بالعنز من يده إلى المكان الذي أشار إليه.

فاستيقظ الراعي ورأى العنز قد غاصت قوائمها في المكان فجذبها فظهر الماء.

فدخل حلب ووقف على باب الجامع القبلي وحدث بما رأى، فخرج جماعة من أهل البلد إلى المكان الذي ظهرت فيه العين، وهو في غاية الصلابة لا تعمل فيه المعاول، وكان فيه معدن النحاس قديماً فخطوا المشهد المذكور.

ثم أردف يقول: وتولّى عمارته الحاج أبو النصر ابن الطباخ، وكان ذلك في أيام الملك الصالح بن الملك العادل نور الدين، وكان الأمير محمود بن المختلو القائم بشؤون حلب فساعدهم في بنائه.

ولما شرعوا في البناء، جاء الحائط قصيراً، فلم يرضَ بذلك الشيخ إبراهيم بن شداد فعلاه ماله الخاص. وتعاضد الناس في البناء، فكان أهل كل حرفة يفرض على نفسه عمل يوم.

وفرض أهل الأسواق على أنفسهم دراهم تُصرف في المؤونة والكلف. وبنى الإيوان الذي في صدره الحاج أبو غانم بن سويق من ماله، فجاء قصيراً فهدمه الرئيس صفى الدين طارو بن علي النابلسي ورفع بناءه وانتهت عمارته عام ٥٨٥هـ.

وأما الإيوان الواقع في شرقي المشهد فبناؤه كان متأخراً عن بناء المشهد، ولما ملك الملك الظاهر غازي حلب اهتم به ووقف عليه رحا تعرف بالمالكية، وفوض النظر فيه إلى نقيب الأشراف الإمام شمس الدين بن علي الحسين والقاضي بهاء الدين بن أبي محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب.

ولما ملك ولده العزيز استأذنه القاضي بهاء الدين في ابتناء حرم إلى جانبه وبيوت يأوي إليها من انقطع إلى هذا المشهد، فأذن له، فشرع في بنائه واستولى التتار على حلب قبل أن يتم سنة ٦٥٨ هـ ودخلوا إلى هذا المشهد ونهبوا ما كان الناس قد وضعوا عليه من الستور والبسط والفرش والأواني النحاسية والقناديل الذهبية

والفضية والشمع، وكان شيئاً كثيراً وشعثوا ببناءه ونقضوا أبوابه..

ولما ملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠ هـ جددّه ورمّمه وأعاد إليه نشاطه الديني والثقافي والاجتماعي. واستمر في أداء رسالته حتى سنة ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥ م حيث أبدى السلطان عبد الحميد اهتماماً خاصاً به إرضاءً لسكان حلب المسلمين. فجددّ الجهة الشمالية من القبلية وأهدى محرابه ستاراً حريراً مزركشاً بآيات قرآنية. وجدّد ترخيم أرض صحن المشهد، وفرشت أرض قبلية بالطنافس الجميلة وعيّن له إماماً ومؤذناً وخادماً وموظفين يقروون كل يوم أجزاءً من القرآن. وكانت النفقة على ذلك كله من حساب أملاك السلطان بحلب. ولكن الإهمال اعتري المكان إثر الانقلاب الدستوري العثماني.

في سنة ١٣١٢ هـ - ١٨٩٤ م عاد الاهتمام إليه ثانية، فوضع فيه منبر خشبي جميل، وجرت فيه خطبة الجمعة والعيدين. واستمرت إقامة الشعائر فيه حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ حيث أبطلت فيه جميع الشعائر الدينية والاحتفالات بسبب تحويله إلى مستودع للذخيرة من قبل الأتراك الاتحاديين مما سبب له الدمار الشامل عند انسحابهم من حلب يوم الجمعة ٢٠ محرم ١٣٣٧ هـ - ١٢ تشرين الأول ١٩١٨ م. ويحدثنا الغزي عن هذا اليوم فيقول:

(هجم عليه جماعة من رعاة الناس وغوغانهم ونهبوا ما فيه من الذخائر والسلاح. وبينما كان بعض أولئك الغوغاء يعالج قنبلة لاستخراج ما فيها من بارود انفجرت وأنت على البارود المتجمع أمامه وسرت فيه النار بأسرع من لمح البصر إلى غيرها من الأعتدة النارية، فانفجرت جميعها انفجار بركان عظيم أحدث دويماً هائلاً كهزيم الرعد القاصف، اهتزت له المدينة وتحطم زجاج النوافذ فيها وتطايرت أحجار البناء الفخمة في الهواء إلى مسافات بعيدة، وسقط بعضها على من فيه فهلكوا عن آخرهم ويقدر عددهم بثلاثين شخصاً تقريباً). وأصبح المشهد بعد هذا الانفجار كأنه جبل من الأنقاض قد ترامي بعضها على بعض، ولم يبقَ بعد الانفجار شيئاً سوى بعض الجدران المهذمة والقباب الممزقة والأحجار المبعثرة، وسوى بقايا من جدران القاعة الشمالية الغربية ودھليزها المصدع، والغرفة المجاورة لها من طرف شرقها، وسوى المطبخ والحمام الواقعة في الشمال الشرقي من المشهد.

في العام ١٩٦٠ م شكلت جمعية باسم (جمعية الإعمار والإحسان) قام بتأسيسها كل من الشيخ إبراهيم الحاج حسين والمرحوم الشيخ عباس الحاج خليل والشيخ إسماعيل الحاج حسين وقد أخذت هذه الجمعية على عاتقها إعادة بناء المشهد إلى حالته السابقة قبل الهدم.

المشهد ودوره الديني والثقافي

لم يكن وجود مشهد الإمام الحسين (عليه السلام) بحلب مقتصرًا على الاحتفالات الدينية والمناسبات التاريخية، بل كان إلى جانب ذلك مصدر إشعاع للعلم والمعرفة، يقصده الناس لينهلوا من موارد العلم الصافية ما يُطفيّ تعطشهم للعلم والمعرفة.

وكان يتردد عليه ويلتقي فيه أكثر من عالم ومجتهد لكل قصره ومحرابه، يتعبد فيه ويلقي دروسه على رواد العلم. وقد ذكر الغزي في كتابه (نهر الذهب) عند الحديث عن الشيعة في قرى ولاية حلب (نُبل، والفوعة، وكفريا) قوله: (وفيه علماء يسافرون في طلب العلم إلى بغداد ومشهد الحسين (عليه السلام)).

أما الاحتفالات التي كانت تقام فيه فأهمها احتفال يوم عاشوراء. وكان الناس يخرجون في هذا اليوم إلى المشهد حيث تقام وليمة حافلة يحضرها الوالي ومن دونه. فيتلى شيء من القرآن لكریم وقصة المولد النبوي، وتنشد مرثية ابن معتوق في الحسين (عليه السلام) التي أولها:

هلّ المحرم فاستهل مكبراً وانثر به درر الدموع على الثرى

ثم يأكل الجميع وينصرفون. وفي اليوم السابع والعشرين في شهر رجب يخرج الناس إلى المشهد ويخرج الوالي ومن دونه وتعطل الحكومة... فيسمعون فيه قصة الإسراء والمعراج ويسقون الشراب ويطعمون الحلوى وينصرفون.

وكانت النفقة في ذلك تصرف بواسطة الخزينة السلطانية الخاصة التي تجبى أموالها من غلات القرى الموقوفة عليه وهي (أبو الهويل، وكفر هراة، ودلامة) (١١٣).

الكتابات الموجودة على جدران المشهد

أول ما يطالعك من الكتابات كتابة على المدخل وهي بالخط الثلث ونصها:

بسم الله الرحمن الرحيم. عمر مشهد مولانا الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في أيام دولة مولانا الملك الظاهر العالم العادل سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين أبي المظفر الغازي بن الملك الناصر يوسف بن أيوب ناصر أمين المؤمنين في شهور سنة ست وتسعين وخمسمائة.

وعلى جانبي المدخل من اليمين والشمال كُتب بالخط الثلث ما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صلّ على محمد النبي وعلي الوصي والحسن المسموم والحسين الشهيد المظلوم وعلى زين العابدين ومحمد الباقر علم الدين وجعفر الصادق والأمين. وكتب على اليسار:

وموسى الكاظم الوفي وعلي الطاهر الرضي ومحمد البرّ التقي وعلي الهادي النقي والحسن العسكري وصاحب الزمان الحجة المهدي. واغفر لمن سعى بهذا المشهد بنفسه ورأيه وماله.

وفي أعلى إيوان المشهد كُتب بالخط الثلث في سطرين ما يلي:

١ - بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صلّ على محمد المصطفى وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن المجتبى والحسين الشهيد وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق.

٢ - وموسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري ومولانا محمد بن الحسن القائم بأمر الله تعالى.

وكتب فوق المحراب:

صنعة أبي عبد الله وأبي الرجاء إبنى يحيى الكنانى رحمهما الله.

المقابر الموجودة حول المشهد

كانت توجد حول المشهد مقابر عديدة. والظاهر أنّهم اتخذوا هذا المكان مدفنًا تبركاً باسم الحسين (عليه

السلام) الذي شَرَّفَ رأسه الشريف هذه البقعة، وتبركت بتلك القطرة من الدم الزكي التي سقطت هناك، وقد اندرست تلك المقابر ولم يبقَ منها سوى قبور بني زهرة الذين كانوا نقباء الأشراف. وقد ذكر أسماءهم الشيخ راغب الطباخ في كتابه (أعلام النبلاء).

وتقع قبورهم في سفح جبل الجوشن جنوبي مشهد الحسين (عليه السلام) ولكن الزمان أفنى معالم هذه القبور ولم يبق منها سوى آثار غير واضحة ولا تتميز منها قبورهم.

والذي لا يزال له الأثر هي مقبرة بني الزهراء، وهي صغيرة مربعة الشكل حيث دُفن فيها أبو المكارم حمزة الإسحاقى الحسيني نقيب السادة الأشراف المتولد سنة ٥١١ هـ والمتوفى سنة ٥٨٥ هـ. ودفن أحفاده فيها من بعده. وعلى قبره صخرة كُتب عليها اسمه وانتسابه إلى الإمام الصادق (عليه السلام) مع تاريخ وفاته.

وكذلك دفن إلى جانب المشهد محمد بن علي المازندراني المعروف بابن شهر آشوب. وكذلك يحيى بن حميدة، وأحمد بن منير الطرابلسي وغيرهم الكثير (١١٤).

المسلمون في العالم

المسلمون في روسيا

إعداد: محمد حسين

دخول الإسلام إلى روسيا

لقد كان لقافلة أحمد بن - فضلان رسول الخليفة المقتدر - دور كبير في رسم الخارطة الدينية لوجود الإسلام في روسيا. ويعتبر أحمد بن فضلان المبلغ الأول للإسلام في روسيا. وكان بالإمكان أن يتوسع الإسلام بشكل كبير لولا موجات الانتشار القيصري عن طريق الاقطاعيين في غازان واستاراخان وكريمة نوغاي وسيبيريا وإمارات آسيا الوسطى ومن ثم القفقاز.

محنة المسلمين في العهد الشيوعي

كانت إمبراطورية روسيا القيصرية تضم المجموعة الكبرى الثانية من المسلمين في العالم ولا يتجاوزها في ذلك غير الإمبراطورية البريطانية والإمبراطورية العثمانية.

ويُعد المسلمون - بعد المسيحيين الأرثوذكسيين - أكبر مجموعة دينية في روسيا. وعددهم يتراوح بين (١٥ و ١٨) مليون نسمة في ذلك الوقت. وكان هذا العدد من المسلمين منتشراً في أنحاء روسيا كلها: منطقة الأورال، سيبيريا، آسيا الوسطى (تركستان) القرم، والقفقاز.

وفي سنة ١٧٨٨ تأسس بقرار من كاترين الثانية مجلس ديني لمسلمي روسيا هو (مجلس أوقاف الديني) واستمر حتى تكوين الاتحاد السوفيتي. وفي عام ١٩١٧ انتخب (عالجمان بارودي) مفتياً لمسلمي روسيا الاتحادية وسيبيريا وكازخستان.

كانت المشاكل التي تهم المسلمين في ذلك الوقت دينية لا سياسية. ولذلك وبعد اندلاع ثورة ١٩١٧ سعوا - بوسائل عديدة - للحصول على الحرية الدينية الكاملة. وكان الشيوعيون يعرفون أهمية المسلمين ذوي الكتلة البشرية الكبيرة ووجودهم في المناطق الحساسة. وعرفوا أن دعم ثورتهم لا يتم إلا بكسب هذا العدد الكبير ولذا وجه الشيوعيون إعلاناً إلى المسلمين سنة ١٩١٧ يعد المسلمين بالحفاظ على معتقداتهم الدينية والعرقية.

ولكن، بعد ثورة أكتوبر توقفت جميع النشاطات الإسلامية وقضي على جميع المذاهب عدا الماركسية، وأُغلقت جميع المدارس ولوحق العلماء لسبب وآخر. وبعد قرار فصل الدين عن الدولة توقفت الدروس الدينية في جميع المدارس. علماً أنه كان هناك قبل الثورة أكثر من ٧٨٠٠ مجموعة مرتبطة بمكتب المفتي، وكان عدد الجوامع والمدارس أكثر من ٨٠٠٠ .

ويوضح حال المسلمين هذا بعض الإحصائيات عن المسلمين الروس. فإذا كان عدد الزوار المسلمين من

الروس إلى مكة والمدينة يتراوح بين (٩- ١٠) آلاف زائر في أواخر القرن التاسع عشر، فإن عدد الحجاج من الاتحاد السوفيتي لم يزد عن ٣١ شخصاً في العام ١٩٨٩. مع الأخذ بنظر الاعتبار سهولة المواصلات في العصر الحديث عما كان سابقاً. ويرجع السبب في ذلك إلى أن القوانين التي وضعت في عهد وزارة داخلية روسيا القيصرية قد ألغيت في عهد فترة حكم الاتحاد السوفيتي.

وكذلك نرى أن وزارات الداخلية في دول الاتحاد السوفيتي كانت ضد أي فكر مغاير وخاصة الإسلام. فأعدت سنة ١٩٩٠ وثيقة طويلة بالتعاون مع اللجنة المركزية للحزب والمخابرات (k . G . B) تحت عنوان: (فيما يتعلق بتأثير الإسلام في الأوضاع الاجتماعية والسياسية والجناية في الدولة).

وتعتبر هذه الوثيقة نموذجاً لسياسة العداء ضد الإسلام التي كانت الحكومة السوفيتية تنتهجها. ومما جاء في الوثيقة: (أن الدين الإسلامي والظواهر الاجتماعية والسياسية والمعيشية الناتجة عنه تُعدّ عاملاً مهماً في الوضع الجديد والتطورات الحاصلة في مجال الجريمة وظهور الخلافات القومية).

وهذا يعني - حسب ما جاء في الوثيقة - أن الإسلام يُعد من الأخطار التي تواجه أمن الدولة، وهذا غير قانوني ويجب منعه. وهكذا نرى أن قسماً كبيراً من المجتمع الروسي يرى في الإسلام ظاهرة عدائية وغريبة تماماً.

إن الاتجاه الذاتي للدولة البلشفية في عدائها للإسلام، أدى في العشرينيات - وبالتحديد في سنة ١٩٢٠ - إلى ظهور حركة للمسلمين ضد الشيوعية اسمها (باسماجي) وسميت في آسيا الوسطى (جهاداً في سبيل الله). لكن الشيوعيين قمعوا المجاهدين بوحشية، وقتلوا عشرات الآلاف من علماء الدين دون أي ذنب، ودمروا الآثار الإسلامية القيمة الخطية والمطبعة بغضاً للثقافة الإسلامية. وقد كان الناس يلاحقون لمجرد امتلاكهم كتباً بالعربية، فيما خربت المساجد والمدارس الدينية.

عقبات في الطريق الإسلامي الجديد

من الصعب النهوض من تحت رماد الفترة السابقة. فأحدى المسائل في مسيرة النهوض هي توفير علماء الدين الأكفاء. واليوم يعاني المسلمون في روسيا من قلة علماء الدين المتخصصين، ولا توجد مؤسسة إسلامية واحدة للتعليم العالي. فالمؤسسة الإسلامية في طاشقند (مؤسسة الإمام محمد بن إسماعيل البخاري) ومدرسة (مير عرب). وباقي المراكز الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق، أصبحت خارج حدود روسيا.

لكن من جانب آخر، تم افتتاح عشرات المدارس القديمة والحديثة وباشرت بنشاطاتها الخيرية. لكن هذه المدارس التي تطلق على نفسها (المعهد الإسلامي) فيها تطور ظاهري وهي ليست بذلك العمق الذي يمكن أن يُخرج علماء أكفاء. وهناك مئات الطلبة من روسيا الاتحادية يدرسون في جامعات الأزهر في القاهرة وباقي الجامعات في العالم الإسلامي.

إن تفكك الاتحاد السوفيتي السابق قد أجاز للمسلمين أن يتحرروا نسبياً من القيود التي وضعها الشيوعيون. وفتح المسلمون مساجدهم ومدارسهم الدينية بعد ٧٠ سنة من الاضطهاد في العهد الشيوعي واليوم يمكن أن تسمع صوت القرآن الشجي في جميع أنحاء روسيا. وهذا النداء ينبئ عن بدء مرحلة جديدة في حياة المسلمين في روسيا.

ولكن يجب أن نذكر أن الصحوة الإسلامية جاءت متأخرة قياساً للأديان الأخرى في روسيا من حيث القوة والانتشار، فنتائج المأساة الإسلامية خلال السبعين سنة كانت مؤثرة جداً، وقد أجبر الإسلام سابقاً على تحمل الطبيعة التخريبية واللاإنسانية والدكتاتورية للفكرة اللينينية الملحدة.

الصحافة الإسلامية في روسيا

وضع تقاليد الصحافة الإسلامية في روسيا إسماعيل ميراز الكاسبارلي. وقد أسس صحيفة (الترجمان) التي صدرت في (باجة سراي). وكانت الصحيفة الأولى لجميع مسلمي روسيا، وكانت تقرأ حتى عند مسلمي الصين والهند وتركيا.

أما صحف (نحن والإسلام) و (الوحدة) و (نور الإسلام) وغيرها فلا توزع إلا في بعض أنحاء روسيا فقط. ويرجع السبب في ذلك إلى عدم وجود صدى واسع للكثير من القضايا، وفقدان التفسير والتحليل والبرمجة الدقيقة والمحددة للإعلام عند المسلمين.

المسلمون والحكومة

مما يؤسف له أن الحكومة الحالية لم تتعامل مع الإسلام بحسن نية منذ البداية، ففي مراسم جلوس أول رئيس جمهورية في روسيا - وهو الرئيس يلتسين - لم يحضر سوى (الأسقف الأعظم). ويلاحظ أن هناك إهمالاً للمسلمين وغبناً مع إعطاء المسيحيين دوراً ووضعاً قانونياً خاصاً.

فنلاحظ أن رئيس الجمهورية السابق (يلتسين) يبعث الرسائل المعلنة إلى رئيس الكنيسة الأرثوذكسية الروسية، ويزور الكنائس، كما خصص (٢٠٠) مليون روبل من الميزانية الحكومية لهم. في حين أن هناك برود في التعامل مع الإسلاميين. فقد بعث رسالة إلى المسلمين بمناسبة عيد الأضحى ولم تتضمن الرسالة سوى ثلاثة أسطر، وقد كتبت الرسالة بلغة رسمية جافة بغض النظر عن إدراك أهمية هذا الاحتفال لملايين المسلمين في روسيا، ووقعت الرسالة بـ (يلتسين) فقط دون ذكر المنصب.

إن مصالح الحكومة والشعب الروسي تقتضي تعاملًا مختلفاً مع الإسلام، الديانة التي يؤمن بها نحو عشرين مليون مواطن روسي وتتبعها عشرات الشعوب والدول والأقوام، ولها استعدادات معنوية وسياسية واقتصادية، لم يستفد منها الحكام الرسميون في روسيا. والتي من الممكن أن تكون أحد العوامل المهمة في النهضة الروسية الحديثة. فالتاريخ الروسي اقتضى أن تكون هذه الدولة المترامية الأطراف جزءاً من عالمين كبيرين هما المسيحية والإسلام.

وبهذا الصدد، من الضروري تأسيس وزارة لشؤون المسلمين والأوقاف في روسيا. فلا يمكن حل قضايا المسلمين ومشاكلهم إلا من خلال مؤسسة كهذه.

مع ذلك فالتعامل العام مع المسلمين لا يخلو من برود، لكن يجب على المسلمين ضمناً مراعاة قوانين الدولة، أن يشاركوا بفعالية في الحياة السياسية للدولة.

دور المسلمين الروس

إنَّ عدم اهتمام الحكومة بقضايا المسلمين يعود كذلك إلى فقدان التحرك الإسلامي على الساحة السياسية. فمن الضروري حالياً القيام بحركة إعلامية وفكرية مسالمة من أجل التغلغل السياسي، وجعل نهضة الإسلام جزءاً غير قابل للتفكيك عن النظر الاجتماعي والسياسي. ومحاولة تغيير النظرة المعادية ضد للإسلام واتهامه بالإرهاب، خاصة بعد أحداث الشيشان. لذلك من الضروري إيجاد قوة سياسية إسلامية منسجمة. أما المنظمات السياسية الإسلامية الموجودة حالياً فلا يمكن اعتبارها قوى مهمة في إطار الاتحاد الفدرالي الروسي.

المصادر

- ١ - الإسلام في روسيا، مجلة التوحيد، عدد ٧٥. نيسان ١٩٩٥.
- ٢ - التركيبة العرقية والدينية في روسيا. مجلة الوسط ٢٦ / ٢ / ١٩٩٥.
- ٣ - الإسلام في روسيا. الشرق الأوسط ٢٨ / ١ / ١٩٩٦.

شخصية العدد

الخطيب

الشيخ كمال معاش

الخطيب الشيخ كمال معاش، هو كمال بن عبد الرزاق بن محمد صالح معاش الحانري، من مواليد كربلاء ١٣٧٥ - ١٩٥٤م، نشأ في كربلاء بعد أن اكمل دراسته الابتدائية والثانوية، أنصرف إلى الدراسة في الحوزة العلمية حيث تتلمذ على أفاضل رجالها في العلم والمعرفة. استهوى الخطابة منذ أن كان يافعاً، أخذ أصولها وقواعدها على مشاهير أعلامها منهم الشيخ علي حيدر المؤيد، سافر إلى بعض الأقطار العربية والإسلامية مرشداً ومصلحاً وواعظاً. حول المنبر الحسيني والدور التاريخي الذي لعبه المنبر على مسرح الأمة الإسلامية بشكل عام وطبيعة الأزمات التي مرّ بها تاريخ المنبر الحسيني وما هي سبل الارتقاء بمستوى أداء الخطيب وكفاءته في أداء دوره، تحدثت الكلمة الطيبة مع الشيخ كمال معاش وكان الحوار الآتي..

الكلمة الطيبة: سماحة الشيخ، بصفتكم من خطباء المنبر الحسيني، نرجو أن تعطوا لنا صورة عن تاريخ المنبر.

الشيخ معاش: هناك معالم عظيمة للحضارة الإسلامية، تنكشف بوضوح لكل من تصفح التاريخ الإسلامي. ومن هذه المعالم (المنبر) الذي كان الوسيلة والأداة لنشر الدين الإسلامي والدعوة إلى الله. والظاهر أن بداية المنبر كانت في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) حيث يروى أن النبي (ص) كان يجلس في حلقة من الناس، يعظهم ويرشدهم ويعلمهم القرآن والأحكام. وفي أحد الأيام ورد أعرابي إلى مسجد الرسول الأكرم، فوجد حلقة من الناس، فلم يدر أيهم رسول الله، لذلك سأل: أيكم رسول الله؟ عند ذلك، طلبوا من النبي (صلى الله عليه وآله) أن يكون مميزاً عنهم، فثنوا له الوسادة ليجلس عليها ويكون محله مميزاً عنهم بارتفاعه، فكان ذلك بمنزلة المنبر.

ولا بأس أن نشير هنا إلى أن (المنبر) في اللغة يعني المكان المرتفع، يرتقيه الخطيب أو الواعظ يكلم منه الجميع. فسمي (محل الخطيب) بالمنبر لارتفاعه أو لرفع الصوت عليه.

وينقل لنا التاريخ الإسلامي صورة أخرى للمنبر، وذلك في غدير خم عند عودة الرسول الخاتم من حجة الوداع، حيث أوقف جموع المسلمين وأمر أن توضع له الأقتاب، ليرتقي عليها ويبلغ ما أنزل إليه من ربه في حق علي بن أبي طالب.

الكلمة الطيبة: إذن وضع المنبر لأجل تعليم الناس وإرشادهم؟

الشيخ معاش: من يتطلع إلى صفحات التاريخ الإسلامي، يجد أن المنبر قد وضع لأجل هداية الناس وتربيتهم

وتهذيبهم بالأخلاق الكريمة والآداب الإسلامية، وهو يؤدي دوراً كبيراً في تعليم أحكام الدين وبيان العقائد الإسلامية.

ونجد ذلك واضحاً على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى عهد أمير المؤمنين (عليه السلام). كما أن جامعة الإمام الصادق (عليه السلام) شاهد كبير على دور المنبر في تربية الناس وإصلاحهم إذ يروى أن هناك من دخل جامع الكوفة وجد (٤٠٠٠) طالب علم كلهم يقول: حدثني جعفر بن محمد!

ومما لا يخفى أن كتاب (نهج البلاغة) الذي يحوي أعظم الحكم والوصايا والتعاليم ويضم من العلوم والدروس والعبر ما يبهر المدارس الغربية فضلاً عن المدارس الإسلامية.. إنما هو - في قسم كبير منه - عبارة عن خطب أمير المؤمنين في رعيته.

وإنما كانت تلك الخطب لأجل إرشاد الناس وهدايتهم ولأجل تربيتهم وتعليمهم وتهذيبهم.

الكلمة الطيبة: هل هناك أزمات تعرض لها المنبر الإسلامي؟

الشيخ معاش: يحدثنا التاريخ أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد رأى في منامه قردة تصعد وتنزل من على منبره المقدس وقد اغتم (صلى الله عليه وآله) لذلك حيث أخبره الوحي بأنهم بنو أمية الذين تسببوا بخراب العالم الإسلامي وجلبوا الولايات على المسلمين، وكان نصيب أهل بيت النبي من ظلمهم وجورهم هو الأعظم والأشد إذ تكفيهم وقعة كربلاء التي اهتزت لفجيعتها الأرض والسماء.

ومن الطبيعي أن استغلال المنبر من قبل المنافقين والأشقياء، كان له الأثر السلبي على الأمة الإسلامية وضياعها. لأنه من الواضح أن المناصب عندما تكون في غير أهلها، يؤدي ذلك إلى الضعف والجهل والتخلف. وبالفعل كان هذا العامل هو السبب في تخلف المجتمعات الإسلامية وتأخرها.

ولذلك لم يرض الإمام الحسن (عليه السلام) وهو طفل صغير أن يصعد أبو بكر منبر رسول الله، فوقف معترضاً هذا الأمر بقول: أنزل عن منبر جدي رسول الله.

ومما تعرض له المنبر الإسلامي، المصائب العظيمة التي يحدثنا عنها التاريخ الإسلامي على عهد معاوية الذي أمر الخطباء بأن ينالوا من علي وولده بالسب واللعن والشتم!! واستمر ذلك الحال سبعين عاماً على أكثر من مئة ألف منبر!!

يروى لنا التاريخ أن يزيد أمر بمنبر وخطيب يطعن في علي والحسين ويثني على معاوية ويزيد. وبالفعل قام أحدهم وأثنى على يزيد وأكثر من الوقعية في علي والحسين، وأظن في تقرير معاوية ويزيد!!

فصاح به علي بن الحسين زين العابدين (عليه السلام): ويلك .. اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوا مقعدك من النار.

لقد عانى المنبر الإسلامي من فترات عصيبة مرت بالأمة الإسلامية، شوّهت من خلالها السنة النبوية وتحرفت الكثير من الأحاديث،، مما سبب ضياع قسم كبير من التراث الإسلامي واحتجاب الحقائق واضطراب المفاهيم.

الكلمة الطيبة: وقوفاً عند هذه الحقائق التاريخية، ما هو المطلوب من الذين يجلسون تحت المنبر ويستمعون إلى الخطباء؟

الشيخ معاش: يجب عليه أن يتأملوا فيما يأخذونه من الخطباء ويعرضونه على العلماء ويتباحثونه مع

غيرهم، ليتبين لهم الحق والصواب.

فلا يصح أن يتسرع الإنسان في أخذ القول والتسليم به، كما لا يصح أن يكون الإنسان متزمتاً في رأيه ولا يحب إلا ما عرفه واطلع عليه. فلا بد علينا أن نكون ممكن يستمعون القول ويتبعون أحسنه.

الكلمة الطيبة: وما هو المطلوب من الخطباء في يومنا هذا؟

الشيخ معاش: لكي يحقق المنبر أثره الإيجابي في الناس، يجب على الخطباء أن يحيطوا بثقافة العصر، ويوسّعوا آفاق أذهانهم بالاطلاع على العلوم المختلفة الحديثة.

كما يجب على الخطيب أن يعايش أبناء مجتمعه ويصاحبهم، يجلس معهم ويحادثهم ويستمع إليهم، يشاركهم أفراحهم وأحزانهم.

ومن الضروري جداً أن يستخدم الخطيب لغة سهلة مبسطة في المحاضرة التي يلقيها، وعليه أن يهتم في عرض كلامه بصورة مشوقة ومتسلسلة وواضحة، لكي يجذب الحضور وينشدون إليه، فتحصل عندئذ الفائدة ويتحقق الغرض من المنبر.

الكلمة الطيبة: هل للحوزات دور في إعداد الخطيب الفاعل؟

الشيخ معاش: بإمكان الحوزات أن تقدم الشيء الكثير في إعداد الخطباء الجيدين.

من ذلك أن تقدم برنامجاً دراسياً شاملاً يستوعب كل الضروريات التي يحتاجها الخطيب، وإبعاد الزوائد والأبحاث العميقة التي يؤخر التحصيل العلمي والتي لا تكون ذات فائدة إلا لذوي الاختصاص.

ثم تقوم بتهيئة الأساتذة المتخصصين القادرين على التدريس بصورة جيدة جداً، وذلك ليتأثر الطالب بهم ويستفيد من خبرتهم، ثم يوظفها في عمله الخطابي.

وتستطيع الحوزات أن تساهم بتطوير إمكانيات العمل الخطابي والتبليغي عن طريق إقامة المجالس واختبار الخطباء أمام الأساتذة والفضلاء. فيمكن بذلك إرشادهم إلى نقاط الضعف ومواطن الخطأ، ومساعدتهم لرفع المستوى وتحسين الأداء.

الكلمة الطيبة: هل تحاول الحوزات الاستفادة من الوسائل الحديثة للتبليغ والخطابة؟

الشيخ معاش: بالطبع. فنحن نؤمن بضرورة استغلال كل الوسائل المتطورة من أجل التبليغ الإسلامي، لأن الغرض هو هداية الناس وإرشادهم والدعوة إلى الله.

فكل وسيلة حديثة يمكن أن نستخدمها لتحقيق هذا الغرض، لا بد من أن نستعين بها ونسعى لتطوير عملنا من خلالها. فعلى سبيل المثال، تستفيد الحوزات من أشرطة المسجل والفيديو ومن الأقراص الليزرية التي تستخدم في الكمبيوتر وغيرها، وهناك عمل دؤوب للاستفادة من الانترنت.

ولكن - للأسف الشديد - هناك عوائق مادية كبيرة في طريق تحقيق الاستفادة من القنوات الفضائية، مع العلم أن هناك محاولات مستمرة في هذا الصدد.

وإذا تحقق ذلك - بعون الله - فسيكون طريقاً كبيراً لخدمة التبليغ لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) والدفاع عنهم وإعطاء الصورة الصحيحة لهذه المدرسة المظلومة.

الكلمة الطيبة: شكراً لكم سماحة الشيخ كمال معاش على إتاحة هذه الفرصة. نتمنى لكم التوفيق والسداد.

قراءة في كتاب الحجاب الدرع الواقى

زينب عبدالله

تمهيد

لم تكن المرأة في أي عصر من العصور السالفة تتمتع بمكانة واهتمام كالذي حظيت به في عصر الإسلام. فقد أكرم الإسلام المرأة، وحفظ لها كيانها الخاص وشخصيتها المستقلة، ومنحها دوراً مهماً لم تعرفه في أي حضارة أخرى، وصانها من أن تكون سلعة رخيصة مبتذلة. وذلك لأن المرأة هي (إنسان) قبل كل شيء، ولأن المرأة نصف المجتمع، وبها يتكامل الرجل والمجتمع، وبها تستمر مسيرة الإنسانية. ولذا فقد عالج الإسلام قضايا المرأة واهتم بها. فهذا الكتاب العزيز يذكر في العديد من آياته أموراً تتعلق بالمرأة وشؤونها. وهكذا اهتمت الأحاديث النبوية وروايات أهل البيت (عليهم السلام) بقضية المرأة ومالها من الحقوق وما عليها من الواجبات.

الحجاب يحفظ كرامة المرأة

وتعتبر مسألة (حجاب المرأة) من أهم وأعقد المسائل التي تتعلق بالمرأة. لأنها قضية جوهرية بالنسبة لها، إذ للحجاب آثار عظيمة في حفظ كرامة المرأة وشخصيتها، بالإضافة إلى كونه محوراً يتحدد من خلاله النظر الصحيح إلى مشاكل المرأة ومعاناتها. ولهذا نرى اهتمام الشريعة الغراء بمسألة الحجاب، والحرص على جعلها واحدة من المسائل الضرورية في حياة المسلمين. إلا أن ذلك لا يشكل عقبة في ممارسة المرأة دورها الكبير والفاعل في المجتمع وفي الأسرة، ضمن الحدود المسموحة المناسبة لها والتي تعطي أفضل الثمار والنتائج بالتقيّد بها واحترامها.

الحجاب الدرع الواقى

تناول الكثير من المفكرين الإسلاميين مسألة حجاب المرأة بالبحث والتحليل، وعالجوا المسألة من جوانبها المختلفة. ومنهم سماعة المرجع الديني الأعلى الإمام الشيرازي (دام ظله) الذي كتب عدة مؤلفات حول المرأة وقضاياها المختلفة.

فقد بحث سماحته مسألة الحجاب في محاضرات عديدة منها ما أدرجت ضمن هذا الكتيب (الحجاب، الدرع الواقى). وهو بحث بسيط وموجز يهتم بإعطاء صور لأهمية الحجاب وضرورته، ويبين السلبيات الكبيرة

المرتبة على تخلي المرأة عن الحجاب في المجتمع.

بدأ الكتاب بالسؤال: لماذا الحجاب؟ وهل الحجاب قيد بالنسبة للمرأة أم لا؟ وما هي العوامل التي جعلت الإسلام يوجب الحجاب؟

ثم يطرح الجواب في نقاط عديدة، نشير إلى بعضها:

خلق المحبة بين الزوج والزوجة

إن بقاء المحبة الزوجية هو رهن الالتزام بالحجاب الإسلامي الصحيح. وقد نوّه علماء النفس إلى أن المتزوجة المحببة تستقطب حب زوجها واهتمامه أكثر من غيرها. أما المرأة غير المحببة فهي لا تختص بزوجها بل يراها ويحادثها الجميع. ولذا دامت أغلب الزيجات في السابق طوال العمر لأنهم يجدون زوجاتهم أكثر جمالاً وجاذبية مع الحجاب الإسلامي.

ويلاحظ هنا بأن الحجاب قد أضاف أمراً آخر إلى بقاء المحبة الزوجية ألا وهو الحفاظ على الحياة الزوجية. فالزوجة المحببة لا ترى غير زوجها والزوج لا يرى غير زوجته. ولكن إذا رفع الحجاب وعمّ السفور فمن الطبيعي أن يرى الزوج نساءً أجمل من زوجته، وكل هذا يؤول إلى مشاكل قد تؤدي إلى الطلاق. وقد تطرق سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) المؤلف إلى هذا الموضوع، فالطلاق في أميركا مثلاً ارتفع إلى أكثر من (٧) ملايين حالة تقدمت فيها النساء إلى طلب الانفصال عن أزواجهن، وفي دول الاتحاد السوفيتي يقول تقرير نشرته إحدى الصحف الرسمية إن حالة واحدة من تسع حالات زواج تنتهي بالطلاق هناك!!

الوقاية من الفساد

وللحجاب دور ثالث في توقي الانحرافات الجنسية فنرى بأن السفور والتبرج يلعبان دوراً أساسياً في الفساد والانحرافات الخلقية، ثم إن المرأة المتبرجة كثيراً ما تكون عرضة لـ (سراق الأعراس). ففي المجتمع الغربي هنالك اعتداءات وجرائم تحدث بسبب ابتعاد الناس عن الدين والأخلاق. ففي واشنطن وحدها تقع جريمة اغتصاب كل (١٥) دقيقة!!

وقد أشار الإمام الشيرازي (دام ظله) إلى أمر خطير هنا، وهو من توابع السفور ألا وهو تجارة النساء المنتشرة في الغرب بشكل واسع، وأورد أسماء بعض الدول التي تتعامل بهذه التجارة القذرة التي تدرّ ما يقارب مليار فرنك سنوياً في إيطاليا مثلاً وهي منتشرة في فرنسا وسويسرا وبلدان أخرى!!.

وأورد سماحته بعد ذلك أمثلة من الواقع الذي عاشه أسلافنا في الماضي وما نعيشه نحن الآن ومدى أهمية الحجاب وتأثيره في المجتمع وسلامته. وفي حال عدم الالتزام به تسود الفوضى ويعم الفساد. ومن القصص التي أوردتها سماحته نخلص إلى أن من الواجب أن تلتزم كل فتاة وامرأة بالحجاب الصحيح والسليم حتى لا يظهر شيء من المرأة يجلب لها المتاعب ولمن حولها.

ويختتم سماحة الإمام الشيرازي (دام ظله) هذا الكراس بالحديث عن المرأة وطلب العلم. فالإسلام لم يمنع المرأة من طلب العلم ولم يمنعها من القيام بالأعمال التي تناسب تكوينها وبنيتها، ولا يمسّ هذا العمل عفافها ورقتها.

الزواج المبكر

حثَّ الإسلام على الزواج المبكر لكلا الجنسين (الذكر والانثى) ، وكذلك ندب إلى تقليل المهر وتسهيل متطلبات الزواج وإنشاء صندوق لمساعدة الشباب والشابات على الزواج. وركز سماحته بعد ذلك على أن المرأة كاملة لا نقص فيها وإن لكل من الرجل والمرأة دوره في المجتمع. فالمرأة خلقت عاطفية أكثر من الرجل لدورها في التربية، والرجل خلق عقلياً أكثر، وذلك لاحتياج المجتمع إلى كلا الأمرين، فالتساوي المطلق بينهما خلاف تركيب خلقهما، فالرجل لا يستطيع أن يقوم بدور المرأة من الحمل والرضاعة وغيرها، وكذا المرأة، فهناك أمور لا تستطيع أن تقوم بها لأنها لا تناسبها أصلاً. ونتيجة لتطور المجتمع فقد دعت الحاجة إلى ضرورة مواصلة الدراسة بالنسبة للشباب. وهذا ما يستوجب تأجيل مسألة الزواج حتى إكمال الدراسة. وهنا يشير الإمام الشيرازي (دام ظله) إلى هذا الخطأ، ويرى أنه لا ضرورة هنا لتأخير الزواج، بل من الممكن للطالب والطالبة أن يتزوجا أثناء الدراسة ويتابعوا طلب العلم، وهو أفضل لهما حتى لا ينشغل الفكر والذهن بضغط الحاجة الجنسية للبدن، والتي تكون في أوجها عند هذه المرحلة من عمر الإنسان حيث يكتمل النمو العاطفي والجنسي فيها.

المرأة في المجتمع الإسلامي والمجتمع الغربي

هل هناك فرق بين المرأة في كلا المجتمعين من ناحية حقوقها وواجباتها، وهل تحترم المرأة في كلا المجتمعين أم لا؟

المرأة في المجتمع الإسلامي تشارك الرجل في الصلاة والصيام والخمس والزكاة والحج، وتشاركه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وولاية الصالحين والبراءة من المجرمين وهذا طبعاً بالنسبة للعبادة، أما المعاملة فلها : التجارة والرهن والضمان والوديعة والمزارعة والمساقاة وغيرها...

ولها بعض الأحكام الخاصة في بعض هذه الأبواب لأمر خارجة، كالإرث إذ لها نصيب أقل من الرجل لأن الرجل هو القائم بالنفقة، وعليه المسكن والملبس، وليس بيدها الطلاق لأن حق القيمومة للرجل.

فلما رأى الغرب أن المرأة المسلمة مصانة ابتدعوا وسائل شتى لمحاربتها منها دعوى الدفاع عن حرية المرأة وإعطائها حقوقها. فهناك سعي حثيث لنقل وباء المجتمع الغربي إلى ديارنا ومجتمعاتنا الإسلامية، لذا نفثوا سمومهم من خلال إدخال المنتجات الغربية ودس العملاء في بلادنا، وآخر ما وصل إلينا هو البث الفضائي والإنترنت وغيرهما من وسائل الإعلام التي تستغل بصورة فاحشة لإغراء المجتمعات ونشر الفساد فيها، فهي فرصة للمغرضين لبث ما يريدون من أفكار تخدم مصالحهم. ولا ننكر ما لهذه الوسائل من فائدة للبشرية ولرقي الإنسانية، ولكن الاستعمار لا يترك فرصة كهذه تفلت من يده لنشر الفساد وتضليل الشعوب.

لقد رفع الغرب شعار (حرية المرأة) لكي يجذبوا المرأة إلى وحل أفكارهم السوداء، ولاستغلالها بأشيع الصور وأفساها حتى صارت هناك مكاتب تتاجر بالنساء، فتستوردها وتبيعهها بثمن بخس أرخص من الدمية؟! الغرب أنفسهم أشاروا إلى فشلهم، فقد قال (غوستاف لوبون): (الإسلام قد رفع حال المرأة الاجتماعي وشأنها رفعا عظيماً بدلاً من خفضها، خلافاً للمزاعم المكررة على غير هدى. والقرآن قد منح المرأة حقوقاً إرثية

أحسن مما في أكثر قوانيننا الأوروبية) (الإسلام بين الإنصاف والجمود).
إن للمرأة في بلادنا الإسلامية صورة مشرقة ومشرفة وهي تتمتع بمكانة رفيعة وكريمة، لهذا لا يمكن لنا أن نجعل صورة المرأة الغربية قدوة لساننا، لأنها سلعة رخيصة في متناول الأيدي لا تحكمها إلا الشهوات والنزوات فهي أضل من الحيوانات.
ومن يدعو من المسلمين إلى الاقتداء بالمرأة الغربية بذريعة (الحرية) و(المساواة) والمزاعم الكاذبة الأخرى، فهو إما مغفل أحمق أو منتفع لا دين له يخدم الظالمين من حيث يعلم أو من حيث لا يعلم ولا يشعر.

جولة الكلمة

مؤسسة الحوراء زينب (عليها السلام) في مونتريال - كندا

مقدمة

من الواضح أن عالمنا الإسلامي اليوم بأمس الحاجة إلى المؤسسات والمراكز التي تقوم بتلبية متطلبات العمل الإسلامي والتبليغ الإسلامي، كما تسعى لربط أبناء هذا العالم بعلمائه وشخصياته والاهتمام بمشاكلهم واحتياجاتهم.

وفي المقابل هناك جهود مباركة ومسابعي متواصلة لإيجاد مثل هذه المؤسسات والمراكز. وهذه الجهود لا يقف أمام عزميتها شيء، لذا فهي دائبة في أن تضع على كل بقعة من أقطار هذا العالم الفسيح، مؤسسة أو مركزاً تنطلق من خلالها إلى تحقيق أهدافها في نشر الإسلام والدفاع عنه والتواصل مع أبنائه.

ومن هذه المؤسسات كانت مؤسسة الحوراء زينب (عليها السلام). وهنا يتذكر القلم كلمة ابنة علي بن أبي طالب عقيلة بني هاشم وهي تشير إلى شخص الإمام الحسين (عليه السلام) ونهضته المباركة التي بها بقي الإسلام وحفظ الدين.

تقول (عليها السلام): وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهور وأمره إلا علوا.

التأسيس والإدارة

مؤسسة الحوراء زينب رأت النور في العام ١٤١٦ هـ (١٩٩٥). وقد جاءت على أثر الحاجة التي تزايدت مع تزايد حجم الجالية الإسلامية المقيمة في مدينة (مونتريال) بكندا.

ويدير المؤسسة لجنة من خيرة الشباب المؤمن المجاهد. ولهذه اللجنة جلسات دورية - تعقد كل أسبوع - يُبحث خلالها في شؤون المؤسسة وأعمالها، كما تدرس أوضاع الجالية الإسلامية وأحوال الإسلام في مونتريال وكندا.

عدد أعضاء اللجنة الإدارية خمسة عشر عضواً، سبعة لهم صفة العضوية الدائمة، والثمانية الآخرون بعضوية مؤقتة.

ويشرف على المؤسسة وبرامجها سماحة الشيخ علي الشمري، وهو يحضر جلسات اللجنة الأسبوعية ويتابع المسائل المتعلقة بالمؤسسة.

وقد نجحت المؤسسة - بتوفيق الله تعالى ومساهمة أهل البذل والعطاء من المؤمنين المجاهدين - في شراء المركز الجديد في شمال مونتريال (منطقة هنري براسا). وذلك على أثر الحاجة المتزايدة وتوسع النشاطات

نشاطات المؤسسة

شرعت المؤسسة مع بداية تأسيسها بترويج شعائر الدين، وقامت ببرامج تربوية وتعليمية تسعى من خلالها إلى ترسيخ مفاهيم كتاب الله العزيز ومضامين كلمات النبي الأكرم وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم). وتهتم المؤسسة بإحياء المناسبات الدينية المختلفة، وذلك لكي تستلهم الجالية المقيمة هناك من المبادئ السامية والقيم العظيمة التي أتى بها دينهم الحنيف خاتم الأديان، وليتأثروا بشخصيات الإسلام التي حملت حياتهم أروع العبر والدروس. ولحرص المؤسسة على الصغار من أبناء الجالية الإسلامية هناك، ولخطورة الوضع والمحيط الذي يعيشونه.. وضعت المؤسسة برامج خاصة بهم، لتعليمهم وتربيتهم وفق الروح الإسلامية، ولتنشئتهم نشأة صالحة بعيدة عن الأجواء المنحلة في تلك البلاد.

فروع المؤسسة

ولتوسع عمل مؤسسة الحوراء زينب، وكبر مسؤولياتها واهتماماتها، انبثقت مؤسسات أخرى تابعة لها لتقوم بسدّ الاحتياجات المختلفة وتطوير الإمكانيات الخدمية فيها. وهذه المؤسسات هي:

حسينية الحوراء زينب (عليها السلام)

وهي أولى نشاطات المؤسسة. وتتم فيها إقامة المناسبات المختلفة. ويتم فيها أحياناً إلقاء القصائد الحسينية والقصائد الأدبية. وهناك تقديم للطعام في بعض المناسبات.

مؤسسة القاسم بن الحسن (عليه السلام)

هناك صعوبات مختلفة تواجه الشباب المسلم الذي يسعى للزواج. منها صعوبة إجراء عقد الزواج بالصورة الشرعية الصحيحة، ومنها صعوبة التعرف على القرين الصالح الكفوء.. لهذا كانت مؤسسة القاسم التي تعنى بشؤون الزواج والزوجين. فهي تحاول من جهة الجمع بين الشاب والشابة المتناسبين والتقريب بينهما وخلق حالة التفاهم والاتسجام، ومن جهة أخرى تقوم بعمل العقد الشرعي وإقامة حفل العقد والزواج بصورة جميلة ومهذبة وموافقة لتقاليدنا وأعرافنا.

مؤسسة سليم بن قيس الهلالي

تعني هذه المؤسسة بالنشاطات الثقافية والفنية، تديرها لجنة مؤلفة من خمسة من الشباب المؤمنين المجددين.

تقوم المؤسسة بنشاطات مختلفة في مجال التمثيل والخط والرسم والإنشاد الديني، كما تقوم بتهيئة أشرطة الكاسيت المختلفة التي تتضمن المحاضرات والمجالس الإسلامية لمختلف الخطباء والعلماء، والأفلام التي تكون ذات طابع إسلامي.

وقد استطاعت المؤسسة أن تقدم عروضاً مسرحية لم يسبق لها مثيل في مونتريال. أولى هذه المسرحيات مسرحية (الخدق) ثم تلتها مسرحية (من علامات الظهور) ثم مسرحية (سقوط خبير) ... وغيرها. وقدمت المؤسسة كذلك مسابقات ثقافية متنوعة. وكل ذلك لأجل جلب الشباب واستخدام كل الوسائل لتقديم الإسلام وتبليغه ولربط الشباب بالقيم والمبادئ العظيمة لدينه الحنيف. وتضم المؤسسة فرقة الإنشاد الديني لليافعين. كذلك تهتم المؤسسة بتهيئة الشعراء المداحين والقراء الحسينيين.

مؤسسة الحرمين

وهي المؤسسة التي تهتم بشؤون الحج والعمرة والزيارات. فهي تقوم بتهيئة كل أمور الحجاج إلى بيت الله الحرام والمدينة المنورة، من ترتيب لوازم السفر ومتطلبات الإقامة في الديار المقدسة وغير ذلك من الاحتياجات يشرف على هذه المؤسسة الحاج أبو بشير.

مؤسسة خديجة الكبرى (عليها السلام)

مؤسسة خيرية تعني بمسائل القرض الحسن، استطاعت أن تقدم الكثير من القروض الحسنة لقضاء حوائج المؤمنين في بلاد الغربية الصعبة التي لا تسود فيها إلا القيم المادية.

معهد الإمام الصادق (عليه السلام)

نظراً لرغبة الكثير من اليافعين والشباب في طلب العلوم الدينية التي تلبي حاجات الروح وتسمو بها إلى مدارج العز والكمال في بلادٍ خلت من كل إشراقات الروح والروحانية... تأسس معهد الإمام الصادق الذي يباشر برامجه مع بداية العطلة الصيفية ليتمكن الطالب المنتسب من التفرغ لتحصيل العلم والاستزادة منه.

ويعتمد المعهد مبادئ دروس الحوزة العلمية، وهي: قواعد اللغة العربية، ومبادئ المنطق، ومبادئ الأصول من المسائل الإسلامية، ودروس الأخلاق، ودروس العقائد، والثقافة الإسلامية العامة. وقد وضع درس لتعليم اللغة الفرنسية وآخر لتعليم اللغة الإنكليزية، وذلك للحاجة الكبيرة إلى ذلك في التواصل مع المجتمع الغربي وفي تبليغ الإسلام والدفاع عنه. ويضم المعهد دورة مقدماتية للصغار يتم فيها إعطاء الدروس الأخلاقية وسيرة المعصومين (عليهم السلام).

مكتبة أبي طالب (عليه السلام)

وتتضم هذه المكتبة المنات من الكتب التي تفتقر لها تلك البلاد، كما تضم مكتبة صوتية للمحاضرات والمجالس المختلفة.

طبعاً تعاني المكتبة من نقص كبير في عدد الكتب وموضوعاتها. وذلك بسبب عدم تحمل ميزانية المؤسسة، لأن شراء الكتب وتوفيرها يتطلب مبالغ طائلة.

الكشاف الإسلامي

لكي يتربى الناشئة على الروح الإسلامية والأجواء الصحية، كان من اللازم استغلال كل الفرص المتاحة لرعايتهم والاهتمام بهم، ومن ذلك سد الفراغ الذي يتهيا لهم أحياناً. وأكبر فراغ يتوفر لديهم هو العطلة الصيفية. لذلك أنشئ (الكشاف الإسلامي) الذي يلف الصبيان من أولادنا الأعزاء في فترة العطلة الصيفية حيث يدخلون تحت ظل البرامج والنشاطات المختلفة والأعمال والمسابقات العديدة التي يراعى فيها الجو الإسلامي والروح الإسلامية. وقد كان للكشاف دور فاعل ومؤثر لذلك تقدمت الكثير من الأسر المسلمة بطلب تسجيل أبنائها، ليبعدوهم عن التأثير بالمحيط.

الإنترنت ومجلة المودة

توفقت مؤسسة الحوراء زينب (عليها السلام) لإيجاد موقع خاص بها على شبكة الإنترنت، تسعى من خلاله لنشر تعاليم الإسلام والدفاع عنه والتبليغ لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام). كما تحاول صد الهجمات الفكرية الشرسة التي تقوم بها الدوائر المختلفة، والرد على التهم والشبهات الموجهة ضد الإسلام. كما تسعى المؤسسة لإصدار محتوياتها على شكل مجلة فصلية باسم (مجلة المودة)

خاتمة

المؤسسة تبذل جهوداً حثيثة لإنجاح جميع برامجها وتطوير إمكانياتها وفعاليتها المختلفة وخدماتها العديدة. وقد جعلت نصب عينيها أن تنشئ إذاعة (FM) لمدينة مونتريال وضواحيها ليستفيد أبناء الجالية الإسلامية من البرامج المختلفة التي تبثها في كل ساعة من ساعات يومهم، وإحراز مواقيت الصلاة بصورة دقيقة. ولكن ذلك يحتاج إلى بعض الصبر وإلى توفيق الله عز وجل ورحمته الواسعة وإلى دعوات الأخوة المؤمنين ودعم الباذلين المتمكنين.

استراحة العدد

قالوا في العمل

إن الله تعالى يحب المؤمن المحترف

النبي محمد (ص)

بركة العمر حسن العمل

الإمام علي بن أبي طالب (ع)

إنني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة.

عبد الله بن مسعود

غبار العمل ولا زعفران البطالة

مثل عربي

إنما خلق الإنسان ليعمل كما خلق العصفور ليطير

رابليه

رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة

لاوتسو

مختارات

رسول الرحمة

يروى أن الأقرع بن حابس زار النبي (ص) يوماً فلما أخذ مجلسه واستقر به المقام، أقبل الحسين (ع) على رسول الله (ص) وضمه إلى صدره وقبله بين عينيه، فتعجب الأقرع من فعل الرسول (صلى الله عليه وآله) وعطفه الغامر وحنانه الدافق، ولم يقدر على ستر دهشته. فقال للنبي (صلى الله عليه وآله) متعجباً: أتقبل الأطفال؟ فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): نعم وأية غرابية في هذا؟ فقال الأقرع: والله إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم قط.

فبادره رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالقول: وما أفعل لك إذا كان الله تعالى قد نزع الرحمة من قلبك؟ إن الله رحيم ويحب الرحماء، ومن لا يرحم لا يرحم.

رداء سليمان

في يوم ما جاء ضيف إلى سليمان الداراني، وعندما حان وقت الغداء جاء سليمان بقرص من الخبز وقليل من الملح، وقال: اعتذر بأن لم يكن في البيت أكثر من هذا.

فقال: ياليت أن مع الخبز جنباً.

فذهب سليمان إلى السوق ورهن رداًه عند البقال واشترى جنباً، وجاء به للضيف، فأكل الضيف الخبز والجبن وحمد الله، وقال: الحمد لله الذي أفتعني بما رزقني.
فقال له سليمان: إذا كنت قانعاً بما رزقك الله ما كان ردائي بالرهن.

مقارنة

سأل أعرابي عبد الملك وقد رآه متنكراً: ممن أنت؟

قال: من بني أمية؟

فقال: أنتم في الجاهلية مربون في التجارة، وفي الإسلام تعادون أهل الطهارة، سيدكم حمار وأميركم جبار، إن نقصتم عن أربعين لم تدركوا بثأراً، وإن بلغتموه كنتم بشهادة الرسول (صلى الله عليه وآله) من أهل النار.

طرائف

رابع المستحيلات

دعي الدكتور شاعر الخوري إلى غداء على مائدة الأمير سعيد الشهابي. وكان مما قدم له محشي، تناول شيئاً ثم أعاد وهو يحاول عبثاً أن يجد لحماً في العشاء، فارتجل هذين البيتين:
قد قيل أن المستحيل ثلاثة والآن رابعة أتت بمزيد
الغول والعنقاء والخلّ الوفي واللحم في محشي الأمير سعيد

ولله في خلقه شؤون

(أغرب الأشياء التي يتركها راكبوا سيارات الأجرة في نيويورك)
يمكن ان تعثر على أكثر الأشياء غريبة في سيارات الأجرة بمدينة نيويورك. كل شيء من عقد الماس قيمته مليوناً دولار إلى حيوان أبن عرس مسعور.
وقام الباحثون بجامعة سان جوان بسؤال ٢٠٠ من سائقي الأجرة عن الأشياء غير المألوفة التي تركت في سياراتهم من قبل الزبائن. وقد جاءت إجاباتهم كما يلي:
- قال سائق مخضرم من منهنات له ١٤ عاماً في خدمة سيارات الأجرة (أخذت ذات مرة سيدة مرموقة للمطار.. وظلت طوال المسافة إلى المطار تبكي وتنتحب، وقالت أنها تركت زوجها الثري وسمعتها ترمي بشيء على المقعد الخلفي بقوة، وعندما ترجلت من السيارة نظرت إلى المقعد الخلفي لأجد عقداً قمت بتسليمه لإدارة الشركة التي أعمل بها)..
- وقال سائق آخر من بروكلين أنه تلقى مفاجأة سارة فبعد أن وصل الراكب الذي كان معه إلى وجهته قام بدفع كامل الأجرة وقال له هديتك في الخلف هناك وعندما نظر وجد هدية قيمة تبلغ قيمتها ٥٠٠ دولار.
- قال سائق آخر من بروكلين (حملت راكباً لم يتوقف عن إطلاق النكات طوال الرحلة حتى أوصلته لمكان

حفل..

وأضاف السائق: ترك مطلق النكات حقيبة صغيرة على المقعد وعندما حاولت فتحها لأرى ان كانت توجد أوراق ثبوتية له بداخلها. أنفتح غطاء الحقيبة وطار منه فقان ملاكمة على زنبرك ليسدد لي لكمة على الوجه.. - ووجد سائق من برونكس ان راكباً ترك قفصاً صغيراً على المقعد الخلفي ليجد بداخله حيوان (ابن عرس). وقد كثر الحيوان عن أنيابه عندما حاول السائق التقاط القفص. وقام السائق باستدعاء سلطات مكافحة الحيوانات ليكتشف ان الحيوان مصاب بداء السعار.

أخبار الإنترنت والكمبيوتر

استخدام الانترنت في روسيا

قال مدير شركة يوكوس للنفط ميخائيل خودور كوفيسكي ان روسيا قد تتخلف عن ركب الدول الأخرى في مجال الانترنت إن لم تسع إلى تيسير سبل استخدام الشبكة العالمية للروس. وقال خودور كوفيسكي ان خمس الروس فقط سيتمكن من استخدام الانترنت بحلول عام ٢٠٥٠ ان لم يتخذ أي إجراء لتسريع انتشار التكنولوجيا الجديدة. ونقلت وكالة الأنباء الروسية عن رجل الأعمال قوله ان التقديرات المتفائلة تبين ان ٣% فقط من الروس يستخدمون الانترنت بانتظام. وقال ان مستخدمي الانترنت في الدول النامية يزيد على ذلك عشر مرات.

حتى المراحض ستزود بالإنترنت في بريطانيا

قريباً، سيصبح بإمكان المترددين على المراحض العامة في بريطانيا أن يتصفحوا مواقع شبكة الانترنت في أثناء انتظار دورهم لدخول الخلاء أو في أثناء قضاء حاجاتهم وذلك بفضل صيحة جديدة في عالم المراحض العامة تحمل اسم (فيورينال) وهو الاسم الذي ينطوي على معنى (المشاهدة في أثناء التبول). فالمراحض الجديدة تشمل على شاشات عرض متصلة بشبكة الانترنت بحيث يستطيع زائر المرحاض أن يدخل إلى أي موقع ويتفحصه بينما يقوم بتلبية نداء الطبيعة. ومن المتوقع ان تجتذب المراحض الانترنسية الجديدة مئات من الزوار والزبائن من النوادي الليلية والمطاعم والحانات. وسيكون باستطاعة الزبون أن يتابع الإعلانات التجارية أو أن يستمع إلى الموسيقى التي يحبها في أثناء قضاء حاجته في المراحض الجديدة التي ستعمل بالعملة المعدنية. ويقول ريتشارد كوبولد مدير المبيعات في شركة (ديجيتال فيو) التي ستقوم بتنفيذ هذا المشروع (ان مشروعنا يمثل مستقبل المراحض العامة في عصر الانترنت. لقد انتهى عهد المراحض التقليدية). مشيراً إلى أن أرباح هذا المشروع ستأتي بشكل أساسي من خلال الإعلانات التجارية التي سيتم بثها على الشاشات التجارية من وقت لآخر في أثناء قيام الزبائن بتصفح مواقع الانترنت.

أجهزة مآكنآوش آحل مكان سماعه الطيب لـ (الكشف عن الأمراض)

يمكن لأطباء المستقبل من إخبار الناس عن نوع الفيروس أو البكتيريا الذي يمكن أن يسبب لهم الأمراض وذلك باستخدام الكمبيوتر في تشخيص عينات الحمض النووي. وتؤكد إحدى الشركات البريطانية قدرتها على تحقيق تلك الفكرة العلمية وتمكينها من أن تصبح حقيقة طبية باستخدام أجهزة المآكنآوش. وتقول الشركة إنه في المستقبل سوف يقوم الأطباء ببساطة باختيار عينة الدم المحتوية على الحامض الوراثي النووي باستخدام المآكنآوش وذلك لفحصه وكشف الأمراض التي تحتويه وخاصة الإيدز.

أخبار الطب والعلم

الشاي مرة أخرى

أشار تقرير غذائي في هولندا إلى أن الشاي يعتبر مؤثراً قوياً ضد تصلب الشرايين وخاصة عند الأطفال. وعلل التقرير فعالية الشاي التي تسمى الفوفونيد والتي تلعب دوراً هاماً في منع بعض الأمراض الخطيرة التي يمكن أن يتعرض لها الشريان القلبي. وقام الباحث في الكلية الصحية في روتردها جوهانا ججلز بدراسة على ٣٤٥٤ شخصاً لقياس مدى تصلب الشرايين لديهم. ووجد ججلز إلى جانب فريقه البحثي ٤٦% من العينة المذكورة قد قلت لديهم نسبة الإصابة بتصلب الشرايين، إلى جانب ٣٩% من نسبة العينة المذكورة قد قلت لديهم نسبة الإصابة بأمراض القلب. واستنتج الفريق البحثي أن تناول المزيد من الشاي يمنع الإصابة بتصلب الشرايين، إلى جانب وقايته من أمراض شريان القلب التاجي.

موسوعة فوائد (السبانخ)

صديق للبشرة .. الصدر .. والمعدة

أثبتت الدراسات أن السبانخ يعتبر الغذاء الأفضل للإنسان نظراً لقيمته الغذائية التي تعمل على إكساب البشرة جمالاً وتألقاً بسبب احتوائه على المعادن والحديد بنسب عالية إضافة إلى ذلك يحتوي السبانخ على فيتامين (واو) المهم لتقوية الأسنان والعناية بها. وتعتبر أهم صفة للسبانخ هي كونه الوجبة المثالية لطالبي الحمية الغذائية لابتعاد عن البدانة وإلى جانب ذلك يعتبر السبانخ سواء كان مطبوخاً أو نيئاً مفيداً جداً للصدر ولحالات وجع الحلق والنزلات.

العلماء يعلنون أن للإنسان مخاً في معدته

أعلن علماء أميركيون وألمان إن أبحاثاً مشتركة قاموا بها قد أدت أخيراً إلى اكتشاف وجود مخ ثان في جسم الإنسان وإن ذلك المخ يوجد في المعدة. وقال العلماء إن هذا المخ الثاني - الذي أطلقوا عليه اسم (مخ البطن) -

هو عبارة عن كتلة صغيرة معقدة التركيب وتتألف من نحو ١٠٠ مليار خلية عصبية شبيهة بالخلايا العصبية التي يتألف منها المخ العادي الموجود في الرأس البشري. ويعتقد العلماء أن هذا المخ الثاني يلعب دوراً أساسياً وكبيراً في تحديد الطريقة التي يتصرف بها الناس وفي تشكيل طبيعة سلوكياتهم ومشاعرهم اليومية. ويتصور العلماء أن (مخ البطن) يحتوي على ذاكرة خاصة تسمح له بتخزين معلومات حول ردود الأفعال الجسدية إزاء العمليات العقلية وأنه يعتمد على ذلك المخزون المعلوماتي لإرسال إشارات عصبية إلى (مخ الرأس) للتأثير على قرارات الأخير وتوجيهها. كما لا يستبعد العلماء أن يكون (مخ البطن) هو المسؤول أساساً عن خلق ردود الأفعال والمشاعر الوجدانية مثل الفرح والحزن والتوتر واليأس.

العلاج بـ(التبغ)

يتوقع العلماء أن تكون النباتات مصدراً غنياً للعديد من العقاقير الطبية والمواد الكيميائية على حد سواء. ويؤكد الباحثون على أن نبات التبغ يمكنه أن ينتج الكثير من البروتينات من أنسجتها عند كل صباح. ويمكن هندسة هذه النباتات حتى تنتج كل أنواع الأمصال والمواد الكيميائية الفعالة. ولكن عملية استخراج البروتين من نسيج النبات طريقة معقدة ومكلفة. فخلال الليل وعندما تفقد الأوراق القليل من الرطوبة بواسطة التبخير، يقوم الضغط في الداخل بعملية دفع المواد إلى الخلايا الإخراجية (الثغور) في الأوراق. وهذه المواد تحتوي على جزيئات بروتينية والتي تفرز من أماكن معينة بين الخلايا النباتية.

قصة مثل

على الخبير سقطت

يقال: إن المثل لمالك بن جبير العامري وكان من حكماء العرب، وتمثل به الفرزدق للإمام الحسين بن علي (عليه السلام) حين أقبل يريد العراق، فلقيه وهو يريد الحجاز، فقال له الإمام (عليه السلام): ما وراءك؟ قال: على الخبير سقطت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أمية، والأمر ينزل من السماء، فقال الحسين (عليه السلام) صدقتني.

وعند جهينة الخبر اليقين

جهينة اسم قبيلة وسبب إطلاق المثل أن رجلاً اسمه (الأخنس بن كعب) قتل رجلاً آخر هو حصين بن عمرو بن معاوية الكلابي، ولم يشهد قتله أحد. وبعد البحث والتقصي علم أن رجلاً من جهينة هو القاتل، فقبل المثل: (عند جهينة الخبر اليقين) ويضرب في معرفة الشيء على حقيقته.

عش رجباً ترَ عجباً

قالوا أن الحارث بن عباد بن قيس بن ثعلبة طلق بعض نساينه من بعدما أسنَّ وخرف فخلف عليها بعده رجل
تظهر له من الوجد به ما لم تكن تظهر للحارث فلقي زوجها الحارث فأخبره بمنزلته منها فقال الحارث (عش
رجباً ترَ عجباً) فصارت مثلاً...